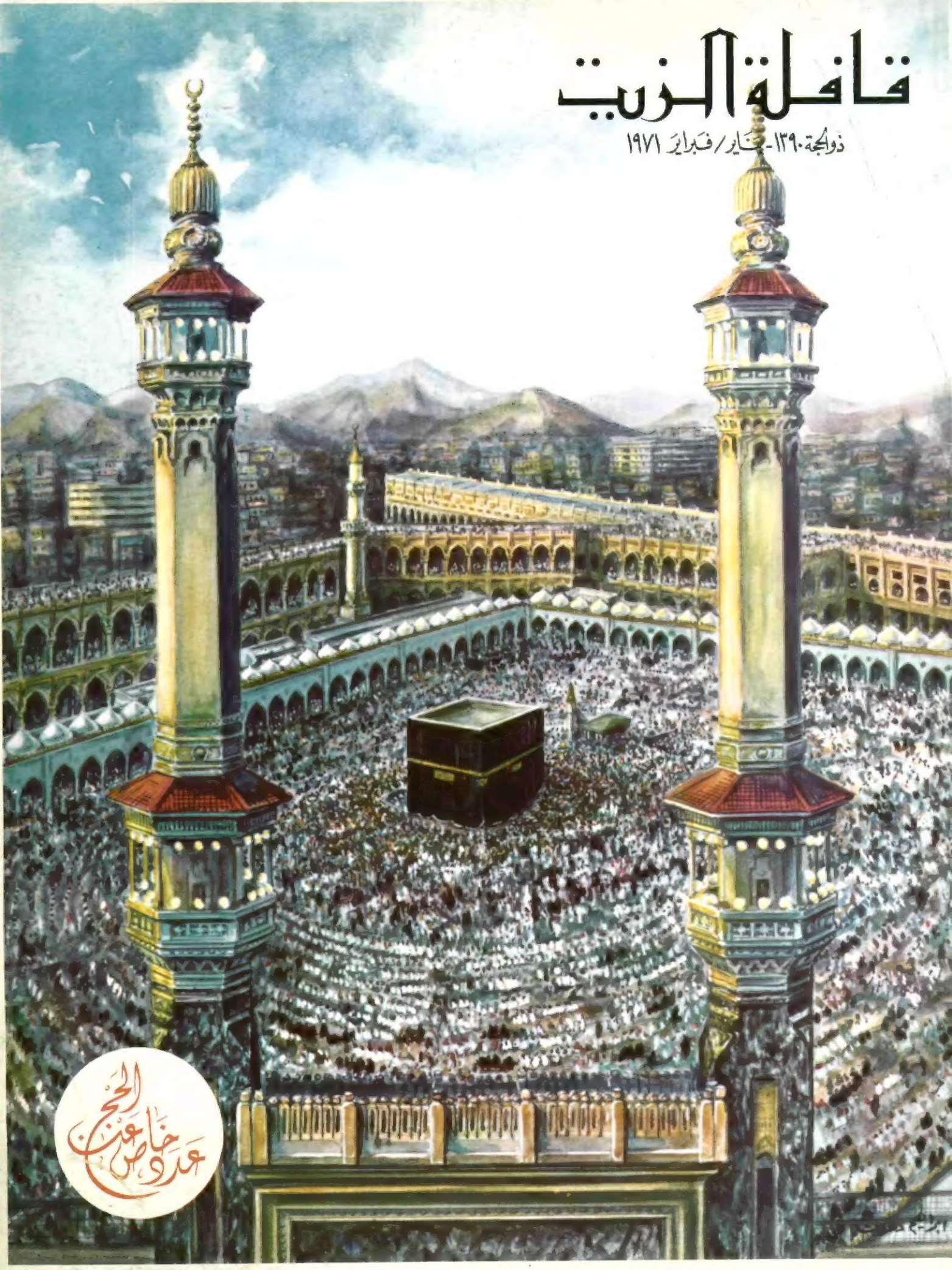


قافلة الزيت

ذو الحجة ١٣٩٠ - يناير / فبراير ١٩٧١



عروة خاضع للحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قافلة الزيت

العدد الثاني عشر - المجلد الثامن عشر

تصدر شهرياً عن شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفيها
إدارة العلاقات العامة
توزع مجاناً

العنوان صندوق البريد رقم ١٣٨٩ الظهران - المملكة العربية السعودية

محتويات العدد

- حجرات الرسول الكريم وحجة الوداع عثمان ابراهيم الحقييل ٣
الحج .. مناسكه وأحكامه علي الطنطاوي ٥
في رحاب البيت العتيق رئيس التحرير ١١
الحج .. مؤتمر اسلامي كبير محمد سعيد العامودي ١٩
توسعة وعمارة الحرمين الشريفين في العهد السعودي عبد السلام الساسي ٢١
الحج في الأدب العربي عيد القدوس الانصاري ٢٧
موكب النور جاذبية صدقي ٣١
ذكريات عن الحج د. عبد الكريم جرمانوس ٣٧
الأعجوبة .. (من وحي التاريخ الاسلامي) عبد الله حشيمة ٤٣
كسوة الكعبة المشرفة المحرر المساعد ٤٧
ذو الحجة (قصيدة) د. زكي المحاسني ٥٠

المدير العام: مصطفى حسن البخان المدير المسؤول: علي حريقنا ديبلي

رئيس التحرير: منصور مدسين المحرر المساعد: عوني ابوكشك

يجوز اقتباس المواد التي تعدّها هيئة التحرير دون إذنه مسبق مع ذكر القافلة كمصدر

المواد التي نشرتها ونشر في قافلة لا تقبل بالضرورة عن رأي هيئة التحرير

تحية بالعيد

يطيب لحيّة تحرير قافلة الزيت أن تفتتح مناسبة هلال عيد
الأضحى المبارك، لترفع إلى السليمة والعريكة، وإلى جدلة الفيصل
المعظم، وإلى عمده الكريم، وإلى حجاج بيت الله الحرام، وإلى قرأها
الكرام، أطيب التحاني، ضارعة إلى المولى القدير أن يعيده على الجميع
بالطمأنينة والسعادة والتؤدة.
وكل عام وأنتم بخير.
لهيئة التحرير

صورة الفيلدات

لوحة للحرم المكي الشريف
ابراهيم دعوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

* «وَأَفِئْتُ فِي النَّاسِ بِالْحَقِّ يَا أَيُّكَ جَبَّارٌ وَعَلَى كُلِّ ضَلَالٍ يَأْتِيَنَّ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ عَمِيدٌ»

قرآن كريم

* «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسِدْ رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْ أُمُّهُ»

حديث شريف



جَدُّهُ الْمَلِكُ فَخْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَوْغُو
الْمُسْلِمِينَ وَحَامِي الْمُسْلِمِينَ وَقَائِدُ الْحَمِيمِ

حجَّاتُ الرُّسُولِ الكَرِيمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحَجَّةُ الْوَدَاعِ

لفضيلة الاستاذ عثمان ابراهيم الحقل

وفي وقوف الناس بعرفة يدعون الله ويذكرونه . رجاء لرحمته ومغفرته ورضوانه . فيوم عرفة هو يوم العتق من النار وهو اليوم الذي يذنو الله عز وجل فيه ويباهي بالحجاج ملائكته ويقول : « ما أراد هؤلاء فيغفر لهم ويعتق رقابهم من النار فما روى ابليس أحقر ولا أذل منه يوم عرفة . »

وصف الحج يجمع المسلم بين عبادتين ، عبادة بدنية بما يؤديه يبدنه من أعمال الحج وأقواله ، وعبادة مالية بما يتفقه في سبيله . ولقد سئل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ما بر الحج يا رسول الله ؟ قال : « اطعام الطعام وافشاء السلام - وطيب الكلام » ولقد نادى منادي الحج في هذه الأيام الى بيت الله الحرام ، الى طاعة الله ورضوانه ، الى مغفرة الذنوب ونفي الفقر ، الى الاشتراك مع ضيوف الله من الحجاج والمعتمرين الذين ان سألوا الله أعطاهم وان دعوه أجابهم وان استغفروه غفر لهم . ولهذا كان جزاء الحج المبرور الجنة مع ما يحظى به المؤمن من مشاهدة تلك المشاعر المقدسة .

وللحج آداب يجب التمسك بها فمن عزم عليه فليجعل قصده حسنا ونية صالحة ، وليجتنب الرياء والمراء ، والسباب والفسوق والعصيان ، وليكثر من التلبية والذكر ، والاستغفار ، وليتب الى الله توبة نصوحا ، هذا وفي الحديث عن النبي ، صلى الله عليه وسلم « ما يصنع من يؤم هذا البيت اذا لم يكن فيه خصال ثلاث ، ورع يحجزه عما حرم الله ، وحلم يضبط به جهله وحسن صحابة لمن يصحبه والا فلا حاجة لله بحجه . » ومن أجمع الوصايا ما وصى به النبي ، صلى الله عليه وسلم ، حيث قال : « لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تفرغ من دلوك في اناء المستقي ، ولو ان تعطي صلة الجبل ، ولو ان تعطي شمع النعل ، ولو ان تلقي أخاك ووجهك الىه منطلق ، ولو ان تلقي أخاك المسلم فتسلم عليه ، ولو ان تؤنس الوحشان في الأرض . » فلنعلم جميعا أن خير الناس أنفعهم للناس وأصبرهم على أدى الناس .

والحج موسم عظيم تتوثق فيه عرى التعارف وتقوى فيه أواصر التآلف بين المسلمين . وتتجلى فيه مظاهر الاتحاد والمساواة والصبر والنظام . هذا فضلا عن اتاحة الفرصة لكل مسلم للاطلاع على أحوال أخوانه وأمورهم ، فيتدارسون ما يصلح شأنهم . فتتحد كلمتهم . وتقوى شوكتهم . فما أعظمه من نهج اسلامي بناء . قال تعالى : « واذا بوأنا لابراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئا . وظهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود . وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا نفثهم وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق . » وفي قوله تعالى « ليشهدوا منافع لهم » اجمال لفوائد الحج ومقاصده وهي منافع عامة شاملة لخيري الدين والدنيا . وفي كل منسك من مناسك الحج من الحكم والمقاصد ما لا يخفى . ففي تجرد الحجاج من ثيابهم تذكير للانسان بحالته حينما خرج من بطن أمه وبحالته يوم الحشر والنشر . فالمحرم يكسب ما يعينه على هذا الموقف العظيم . وفي لبس الاحرام مظهر يتساوى فيه الحجاج والمعتمرون لا فرق بين غني وفقير ، وقوي وضعيف ، وكبير وصغير ، يتجهون الى الله شعثا غبرا رافعين أصواتهم بالتلبية لله والتزيه له عن الشريك مكررين له الحمد . ومعترفين له بالنعمة والملك والحق ، لا فضل لأحد منهم على أحد الا بالتقوى . « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وصف الطواف يلزم الحجاج بيت ربهم وخالقهم يطوفون به ويستلمون الحجر الأسود الذي روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال فيه « الركن يمين الله في الأرض يضافح بها خلقه والذي نفس ابن عباس بيده ما من امرئ مسلم يسأل الله عنده شيئا الا أعطاه اياه . » وقال عمر لعلي رضي الله عنهما : « يا أبا الحسن ها هنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات »

فرض الله الحج على الناس ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات وجعله أحد أركان الاسلام الخمسة . وبين سبحانه أنه واجب على المستطيعين اليه سبيلا وهم القادرون على الوصول الى البيت . أما أولئك الذين لا يستطيعون اليه سبيلا فقد أسقطه الله عنهم رحمة بهم وتيسرا عليهم . كما سهل الأمر على المستطيعين حيث جعل الفرض عليهم مرة واحدة في العمر . وأكد سبحانه هذه الفريضة المقدسة ، وتوعد من جحدتها بقوله تعالى « ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » . فالله سبحانه وتعالى غني عن العالمين وأعمالهم لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معاصيهم . وهم الفقراء اليه في كل لحظة من لحظات حياتهم ، قال تعالى : « ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين . » ويقول تعالى : « يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد . »

ولقد شرف الله بيته بإيجاب حجه على المستطيع كما شرفه بوجوب التوجه اليه في الصلوات الخمس كل يوم وليلة ، وأمر خليله ابراهيم عليه السلام بتطهيره للطائفين والعاكفين والركع السجود ، وجعله مثابة للناس وأمنا يؤمنونه من شتى البقاع والأقطار ، ويثوبون اليه المرة بعد المرة ، وكلما زاروه ازدادت محبتهم له وعظم شوقهم اليه ، ولقد غرس الله محبته في النفوس فهي لا تمل من قصده والرجوع اليه ، ومن لم يتمكن من الرجوع اليه بجسمه فانه يرجع اليه بروحه وقلبه ، كما امتن سبحانه وتعالى على المجاورين لبيته بالحرم الآمن الذي تجبى اليه ثمرات كل شيء . وورد أن الصلاة بالمسجد الحرام بمائة ألف صلاة فيما سواه حيث القرب من بيت الله . أول بيت وضع للناس وهو البيت المبارك الذي جعله الله هدى للعالمين ، وجعل فيه آيات بينات منها مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا . وما زال الناس يحجونه من لدن ابراهيم عليه السلام الى هذا العهد وإلى ما يشاء الله رب العالمين .

والحديث عن الحج يدعو الى عرض موجز لهدي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في الحج والعمرة . فخير الهدي هديه ، وقد قال : « خذوا مني مناسككم » . فقد اعتمر ، صلى الله عليه وسلم ، بعد الهجرة أربع مرات كلهن في شهر ذي القعدة ، الأولى هي عمرة الحديبية وكانت في السنة السادسة للهجرة فصدته المشركون عن البيت فتحلل هو وأصحابه من أحرامهم ورجعوا الى المدينة . والثانية هي عمرة القضية ، أو عمرة القضاء ، وكانت في السنة السابعة للهجرة وقد دخل مكة وأقام فيها ثلاثا ثم خرج بعد اكمال عمرته . والثالثة عمرته التي قرنها مع حجته . والرابعة عمرته مع الجعرانة بعد رجوعه من « حنين » ولم يكن في عمره عمرة واحدة خارجا من مكة كما يفعل كثير من الناس اليوم ، وانما كانت عمره كلها داخلا الى مكة .

الهدية ، صلى الله عليه وسلم ، في الحج ، فلا خلاف في أنه لم يحج بعد الهجرة سوى حجة واحدة ، وهي حجة الوداع وكانت في السنة العاشرة بعد فريضة الحج . وقد حج معه خلق كثير . ولما أراد الاحرام اغتسل وتطيب في بدنه ورأسه ثم لبس ازاره ورداءه ثم صلى الظهر ركعتين ثم أهل بالحج والعمرة في مصلاه . وخير أصحابه بين الانسك الثلاثة ثم دعاهم عند دنوهم من مكة الى فسخ الحج والقران الى العمرة لمن لم يكن معه هدى . وكانت زاملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر رضي الله عنه واحدة . فلما كان « بسرف » حاضت عائشة ، رضي الله عنها ، وقد كانت اهلت بعمرة فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي ، فقال : ما يبكيك ؟ لعلك نفست ، قالت : نعم ، قال : هذا شيء كتبه الله على بنات آدم افعلي ما يفعل الحاج غير الا تطوفي بالبيت .

فلما دخل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم المسجد توجه الى البيت ولم يركع تحية المسجد فتحية المسجد الحرام الطواف ، فلما حاذى الحجر الأسود استلمه ولم يزاحم عليه ثم أخذ عن يمينه وجعل البيت عن يساره وقد حفظ عنه بين الركبتين : « ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار » ورمل في طوافه هذا الثلاثة الأشواط الأول ، فكان يسرع في مشيه ويقارب بين خطاه واضطجع بردائه فجعل طرفه على أحد كتفيه وإحدى الآخر ومنكبه وكلما حاذى الحجر الأسود أشار اليه أو استلمه بمحجنه (وهو عصا محنية الرأس) وقبل المحجن ،

وكان يستلم الركن اليماني ولم يثبت عنه انه قبله ولا قبل يده عند استلامه . ثم صلى خلف المقام ركعتين قرأ فيهما بعد الفاتحة سورة الاخلاص . ثم استلم الحجر الأسود وخرج الى الصفا وركى عليه وسعى ، وكان يصلي مدة اقامته بمكة في منزله بالمسلمين بظاهر مكة ، ثم توجه الى منى بالمسلمين ونزل بها وبات ، فلما طلعت الشمس ، سار منها الى عرفة فوجد القبة قد ضربت له « بنمرة » فنزل بها . وبعد زوال الشمس ، وكان يوم جمعة ، سار حتى أتى بطن الوادي في عرفة فخطب بالناس خطبة عظيمة بين فيها قواعد الاسلام . وهدم قواعد الشرك والجاهلية ، وقرر فيها المحرمات من الدماء والأموال والأعراض ، وأوصى بالنساء خيرا ، وذكر ما لهن من الرزق والكسوة المعروف وما عليهن من حقوق ، وأوصى الأمة بالاعتصام بكتاب الله وأخبر أنهم لن يضلوا ما داموا معتصمين به ، وانهم مسئولون عنه ، واستنطقهم بماذا يقولون وبما يشهدون ؟ فقالوا : « نشهد انك قد بلغت وأديت ونصحت » . فرفع اصبعه الى السماء واستشهد الله عليهم ثلاث مرات وأمرهم أن يبلغ شاهدهم غائبهم . ثم أمر بلالا فأذن ثم أقام فصلى الظهر ركعتين أسر فيهما بالقراءة ، ثم أقام فصلى العصر ركعتين ، ثم ركب فأتى الموقف في ذيل الجبل عند الصخرات واستقبل القبلة وكان على بعيره ، فأخذ في الدعاء والتضرع والابتهاال حتى غروب الشمس وكان رافعا يديه الى صدره وقال : « وقفت ههنا وعرفة كلها موقف » . وأخبرهم « ان خير الدعاء دعاء يوم عرفة » .

وكان أكثر دعائه يوم عرفة « لا إله الا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير » . وفي هذا اليوم أنزلت عليه الآية الكريمة « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » . وهناك سقط رجل من المسلمين عن راحلته وهو محرم فمات ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكفن في ثوبه ، ولا يمس بطيب ، وأن يغسل بماء وسدر ، ولا يغطى رأسه ولا وجهه ، وأخبر أن الله يبعثه يوم القيامة يلبي فلما غربت الشمس أفاض من عرفة بسكينة وهو يقول : « أيها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع » أي ليس بالاسراع ، وكان يلبي حتى أتى المزدلفة فأذن المؤذن ثم أقام فصلى

المغرب ثم أقام فصلى العشاء ، ثم نام حتى أصبح وأذن في تلك الليلة لضعفة أهله أن يتقدموا الى منى قبل طلوع الفجر بعد غيبوبة القمر . فلما صلى الفجر ركب حتى أتى موقفه عند المشعر الحرام فاستقبل القبلة وأخذ في الدعاء والذكر حتى أسفر جدا قبل طلوع الشمس . وأعلم الناس أن مزدلفة كلها موقف . ثم سار من مزدلفة وهو يلبي ، وفي طريقه أمر « ابن عباس » أن يلقط له حصى الجمار . سبع حصيات من حصى الخذف . فجعل ينفضهن في كفّه ويقول :

« بأمانال هؤلاء فارموا وإياكم والغلو فانما اهلك من كان قبلكم الغلو في الدين » . ولما وصل الى منى أتى جمرة العقبة فرماها بعد طلوع الشمس وحينئذ قطع التلبية وفي ذلك اليوم خطب بالناس خطبة بليغة أوضح فيها حرمة يوم النحر وتحريمه وفضله ، وحرمة مكة على جميع البلاد وأمرهم بالسمع والطاعة لمن قادهم بكتاب الله ، وأمر الناس بأخذ مناسكهم عنه ، وقال : « لعلي لا أحج بعد عامي هذا » ، وأنزل المهاجرين والأنصار منازلهم وأمر الناس ألا يرجعوا بعده كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض وأمر بالتبليغ عنه وأخبر انه « رب مبلغ أوعى من سامع » وقال : « لا يجني جان الا على نفسه » ، وفتح الله له أسماع الناس حتى سمعها أهل منى في منازلهم وقال في خطبته تلك « أعبدوا ربكم ، وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ربكم » وودع حينئذ الناس فقالوا : حجة الوداع .

وم انصرف الى المنحر بمنى فنحر ثلاثا وستين بدنه بيده وهي عدد سني عمره . ثم أمسك وأمر عليا أن ينحر ما بقي من المائة ، وأن يتصدق بجلالها ولحومها وجلودها على المساكين وقال : « من شاء اقتطع » ، ونحر بمنى وقال : « إن مني كلها منحر وإن فجاج مكة طريق ومنحر » وسئل صلى الله عليه وسلم أن يبني له بمنى بناء يظله من الحر فقال : « لا مني هنا من سبق » . وبعد أن أكمل نحره حلق رأسه ثم أفاض الى مكة قبل الظهر ، فطاف طواف الافاضة ، ثم أتى زمزم فشرب وهو قائم للحاجة ، ثم رجع الى منى فنام بها . ولما زالت الشمس مشى من رحله ، فرمى الجمار الثلاث ولم يتعجل صلى الله عليه وسلم في يومين بل تأخر حتى أكمل رمي أيام التشريق الثلاثة ، ثم أفاض بعد الظهر الى « المحصب » ، ثم طاف طواف الوداع ليلا سحرا ثم نادى بالرحيل فارتحل الناس ■

الحج

مَنَاسِكُهُ وَأَحْكَامُهُ

للفقيه الشافعي علي الطنطاوي





« وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » .

الحج كالصلاة ، عبادة من العبادات الأصلية في الاسلام . والرسول صلى الله عليه وسلم قال : صلوا كما رأيتموني أصلي . وقال : خذوا عني مناسككم . فالصلاة الكاملة هي التي تكون مثل صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والحج الكامل هو الذي يكون مثل حجه ، ينزل الحاج حيث نزل ، ويرحل حيث رحل ، ويفعل مثلما فعل .

ولكن أعمال الصلاة ، وأعمال الحج ، منها ما هو فرض ، ومنها ما هو واجب ، ومنها ما هو سنة .

فمن ترك فرضا ، (أي ركنا من أركان الصلاة أو الحج) لم تصح صلاته ولا حجته . ومن ترك واجبا في الصلاة ، كمن ينسى مثلا القعدة الأولى ، فإنه يسجد سجدة السهو ، ومن ترك واجبا في الحج ، فإن عليه بدلا من سجود السهو ذبح شاة .

أما السنن فإن تركها لا يفسد الحج ، ولا يوجب الدم ، ولكن يضيع على تاركها الثواب ، وينقص له الأجر .

أركان الحج

الأحرام ، والوقوف في عرفة ، وطواف الأفاضة ، والسعي . وكلها متفق عليه ، إلا السعي فهو في المذهب الحنفي ، واجب لا فرض .

الأحرام

أكثر الناس يظن أن الأحرام هو نزع الثياب ، ويحسب أن شروطه الغسل وصلاة ركعتين . مع أن الأحرام هو النية ، والتلبية . فمن نوى بقلبه الأحرام ، وقال بلسانه : لبيك اللهم لبيك . فقد صار محرما ولو لم ينزع ثيابه ، ولو لم يلبس الأزار والرداء . أما نزع الثياب ، فهو واجب ، فإذا لم يفعله يجبر بالدم .

المواقيت

ومن الواجب أن يحرم من الميقات ، أي من الحدود التي رسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وألزم من جاء للحج أو للعمرة أن يحرم منها . فإن جاوزها بلا إحرام ، كان عليه ذبح شاة ، أو العودة إلى الميقات ، فيحرم منه . والمواقيت ليست على مسافة واحدة من الكعبة . فمن جاء المدينة المنورة أو مر بها ، عند قدومه



حجاج بيت الله الحرام يستلمون الحجر الأسود
اقتداء بالرسول الأعظم ، صلى الله عليه وسلم .

يبست معظم الحجاج في منى ليالي التشريق الا من تعجل في يومين فلا اثم عليه .

الحذاء المعتاد ، جاز . ومتى أحرم لم يجز له
صيد البر ، ولا الطيب ، ولا قص الشعر ولا
الأظافر .

أما المرأة فاحرامها بكشف وجهها وكفيها .
فلا يجوز لها لبس البرقع ، ولا القفازات ،
الا مؤقتا بقصد الاستتار . فاذا رأت المرأة بعض
الرجال فعليها أن تستر منهم . وعند الحنفية
لا تجب عليها الفدية ، الا اذا استمرت تغطية
وجهها من الصباح الى الليل ، أو من المغرب
الى الصباح . فان غطت وجهها ساعة أو ساعتين
كان عليها صدقة .

أنواع الاحرام

للحاج أن ينوي « الحج » فقط . أو ينوي
« العمرة والحج باحرام واحد » ، أو ينوي « العمرة
ثم التحلل منها ثم الحج باحرام جديد » من مكة .
والأول يسمى « الافراد » ، والثاني « القرآن » ،
والثالث « التمتع » فاذا نوى الحاج الافراد ،
فانه يحرم ويلبى ، فاذا وصل الى مكة المكرمة
طاف طواف القدوم ، وسعى بعده ان شاء ،
ثم قعد الى اليوم الثامن ، فخرج الى منى عملا
بالسنة ، أو اليوم التاسع فخرج الى عرفات
رأسا . وان نوى القرآن فانه يعمل العمل نفسه ،
الا في المذهب الحنفي ، فان القارن عليه سعيان .
وان نوى الحاج التمتع ، دخل بعمرة ،
أي أنه يحرم ويطوف ويسعى ويحلق أو يقصر ،

منوعات الاحرام

عرفنا أن الاحرام هو النية ، أو النية والتلبية .
فمن نوى الاحرام وقال : لبيك اللهم لبيك .
صار محرما . ولو لم يقتل . ولو لم ينزع ثيابه .
ولكن اذا استمر على لبس ثيابه المعتادة ، نهارا
كاملا . كان عليه دم .
واذا تجاوز الميقات بلا احرام ، فلم يحرم .
(أي لم ينو ولم يلب) حتى وصل جدة . أو مكة
كان عليه دم الا اذا عاد الى ميقات من المواقيت
فأحرم منه .

ومن أحرم من الرجال وجب عليه الابتعاد
عن النساء ، ومن أحرمت من النساء وجب عليها
الابتعاد عن الرجال .

وجب على الرجل . نزع المخيط . وليس
المراد بالمخيط كل ثوب مخيط ، بل المراد المخيط
المحيط ، أي الثياب المعتادة . ولو لم يجد
« المناشف » فأخذ عباءته ، أو ثوبه . فلفه
على نفسه مثلما ينف الازار جاز .

وجب عليه كشف رأسه . فلا يلبس أي
شيء مما يغطي الرأس عادة . أما اذا اتخذ
مظلة ، أو استظل بخيمة ، أو ركب سيارة ،
أو حمل على رأسه طبق طعام ، أو شيئا مما
يحمل . فلا بأس .

ولا يجوز له أن يلبس ما يغطي الكعيين ،
ولا يشترط لبس النعل المعروف . بل لو لبس

للحج أو العمرة . وجب عليه الاحرام من المكان
المسمى اليوم « آبار علي » ، وهي تبعد نحو
من خمسمائة كيلومتر عن الكعبة . ومن جاء
من جهة الشمال الغربي . من مصر مثلا أو
الشام . فميقاته اليوم « رايغ » . فكل من دخل
من تلك الجهة وجب عليه الاحرام منها . ومن
جاء عن طريق الطائف فميقاته « وادي محرم »
عند المسجد . ومن جاء من جهة الشرق فميقاته
« السيل الكبير » .

هذه هي الحدود . فمن مر بها أو محاذيا
لها . في البر أو في البحر أو في الجو وكان قادما
للحج أو العمرة . وجب عليه الاحرام منها .

والذين يجاوزونها بلا احرام ، ويحرمون
من جدة مثلا عليهم دم . أو أن يرجعوا الى
ميقات . من هذه المواقيت فيحرموا منه . ولو كان
أقرب من الميقات الذي جاء منه الحاج . فلو جاء
من المدينة المنورة ولم يحرم . ثم أحرم من
« وادي محرم » جاز احرامه . ومن جاء بالطائرة
من غربي المملكة ولم يمر على ميقات . ولا من
فوقه ولا بحذائه ، أحرم من جدة . ويجوز
أن يحرم قبل أن يصل الى الميقات ، ولو من
بيته أو من مطار بلده .

أما الاغتسال أو الوضوء . والتطيب قبله
وقص الشعر والأظافر قبله ، وصلاة ركعتين كلها
سنة . فمن تركها لم يكن عليه اثم ، ومن فعلها
نال ثوابها .



شعيرة السعي بين الصفا والمروة من أركان الحج .

الاحرام بالعمرة من الحل

موقف الرسول صلى الله عليه وسلم

وقف الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، على ناقته عند الصخرات الكبار ، في طرف جبل الرحمة ، ولم يصعد عليه ، كما يظن الناس . وليس الصعود عليه من السنة . وما يفعله كثير من الحجاج من التزاحم على صعود الجبل وتعريض أنفسهم للوقوع من فوقه لا أصل له . وإنما وقف ، صلى الله عليه وسلم ، عند الصخرات الكبار ليعرف مكانه ، فيسأله الناس . وقد بينت عليه السلام أن عرفة كلها موقف ، وبث يدعو ويذكر ويتضرع ، إلى الغروب .

الرفاهة من عرفات

يبقى الحاج في عرفات إلى ما بعد الغروب ، فيكون بذلك قد جنى ثواب الفرض والواجب والسنة . فإن نزل قبل الغروب ، وجب عليه دم ، عند الحنفة والمالكية والحنابلة وصح حجه . لأن الواجب هو الوقوف في عرفات جزءاً من الليل . فإن لم يستطع الحاج أن يصل إلى عرفات نهارة ، ووصلها ليلاً ، فوقف فيها ، في أي موضع منها ، دقيقة قبل فجر يوم العيد ، فقد حصل الفرض والواجب .

في مزدلفة

فاذا انقضت وقفة عرفة ، توجه الحاج إلى مزدلفة (وتسمى جمعا) والوقوف بمزدلفة واجب لا فرض . أي أنه يجبر بالدم . ويجب على الحاج ألا يخرج من حدود مزدلفة إلى منى ، إلا بعد منتصف الليل ، أي أن الواجب هو الوقوف في أية بقعة منها دقيقة بعد منتصف الليل . وهذا ما يقره جمهور الفقهاء . وعند الحنفية يجب الوقوف فيها دقيقة بعد فجر يوم العيد . وعند المالكية يكفي الوقوف فيها ولو نصف ساعة ، لتحصيل الواجب ولم أقف على دليل المالكية فيما ذهبوا إليه .

من أخطاء الحجاج

شاهدنا كثيرا من المطوفين ، يخرجون بحجاجهم من حدود مزدلفة ، قبل نصف الليل ، وهذا لا يجوز ، ويجب فيه عند الحنفية والشافعية والحنابلة على كل حاج دم . ومن ناحية أخرى فقد وجدت خطأ في الكتاب المشهور «الفقه على المذاهب الأربعة» حول أمر الوقوف في مزدلفة .. وقد جاء فيه أن

الاحرام من مكة نفسها للحج صحيح . أما العمرة فلا يجوز الاحرام بها من مكة ، بل لا بد أن يخرج إلى الحل ويحرم منه . وحدود الحرم غير المواقيت التي يكون منها الاحرام . ويبدأ حد الحرم الذي لا يجوز الصيد فيه ، ولا اقتلاع أشجاره ولا القتال فيه ، ولا الاحرام منه للعمرة . يبدأ من جهة جدة من قرب الشمسي (الحديبية) ، ومن جهة وادي فاطمة من عند مسجد عائشة في التنعيم . وينتهي من جهة الشرق من عند «الجعرانة» من هناك ومن هنا قبيل عرفات بقليل .

وحدود الحرم هي التي رسمها وحددها إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام ، وفي كل جهة من هذه الحدود علامات بيضاء تدل عليها وتبينها .

أعمال الحج

تبدأ أعمال الحج من صباح اليوم الثامن من ذي الحجة وهو يوم التروية (١) ، فاذا صلى الحاج صلاة الفجر في الحرم ، وكان متمتعاً دخل بعمرة . أو كان من أهل مكة ، فعليه أن يحرم بالحج من بيته أو من الحرم وأن يخرج إلى منى .

أما من كان محرمًا وقد بقي على إحرامه ، فلا حاجة له إلى إحرام جديد . فيبقى في منى إلى ما بعد فجر يوم الوقفة ، أي أنه يصلي فيها صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء من اليوم الثامن وصلاة الفجر من اليوم التاسع ، ثم يتوجه إلى عرفات .

قضاء يوم التروية في منى

وقضاء هذا اليوم في منى سنة . غير أن بعض المطوفين يختارون ما هو أسهل عليهم ، فيخرجون بالحجاج يوم التروية (أي اليوم الثامن) إلى عرفات رأساً ، وهذا لا يضر الحج ولا يفسده ولا يوجب فدية ولا دماً ، ولكنه ليس من السنة . فالسنة تقضي الخروج إلى منى أولاً ، والمبيت بها ليلة الوقوف بعرفات .

ومن قام بهذه السنة ، وبات في منى ، يخرج منها صباحاً إلى عرفات فيصلها قبل الظهر ، فيصلي مع الإمام الظهر والعصر جمعا ويسمع الخطبة ، ثم يدخل الموقف .. متوجهاً إلى الله بالذكر والدعاء والتضرع .

ثم يتحلل ، ويبقى متحللاً إلى وقت الحج ، فيحرم للحج من مكة ، ويخرج إلى الحج . ومن أحرم ولم ينو واحداً معيناً منها ، جاز له بعد أن يعرف هذه الأنواع أن يصرف نيته إلى واحد منها . وإن نوى ما ينويه رفاقه ، أو ما ينوي فلان من الناس ، جاز له ذلك ، ويتبعه فيما نواه . فالمفرد والقارن يقيان محرمين إلى آخر الحج ، والمتمتع يتحلل ثم يحرم مرة ثانية .

والحاج أن يختار عند نية الاحرام واحداً من هذه الثلاثة ، والأصل أن يختار ما هو أفضل وأكبر أجراً عند الله . فإن اختار ما هو أسهل عليه ، صح حجه ، ولم يكن عليه شيء . فإن اختار «الأفراد» لم يكن عليه ذبح ، وإن اختار القارن أو المتمتع ، كان عليه ذبح الهدي . وكذلك المرأة الحائض أو النفساء ، فإن عليها أن تنوي ما تشاء من أنواع الاحرام الثلاثة . ولكنها إذا نوت التمتع لزم عليها دخول المسجد لطواف العمرة ، وهي لا تستطيع الدخول . لذلك كان الأفضل لها أن تنوي الأفراد أو القارن .. والحيض والنفساء لا يمنعان المرأة من الاحرام ، ولا يختلف حكمها فيه عن حكم غيرها .

وأهل مكة ، ومن كان في حكم أهل مكة ينوون الأفراد فقط . وكل من كان موجوداً في مكة قبل دخول شوال ، ولم يكن محرمًا ، فحكمه حكم أهل مكة .

(١) سمي يوم التروية لأنهم كانوا يعدون فيه الماء لسقاية الحجاج ، والتاسع يوم الوقفة ، والعاشر يوم النحر ، وأيام العيد الثلاثة الأخرى تسمى أيام التشريق لأنهم كانوا يشرقون فيها اللحم ، أي يعرضونه للشمس من شروقها ، ليجف فيبقى .



الحجيج يوم الوقوف في عرفات يهللون ويكبرون ، حول جبل الرحمة وعليه ، وعرفة كلها موقف .

أخذنا بحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . وفهم الحنفية من هذا الحديث أن الترتيب واجب ، فقالوا ، بأن على تاركه دما .

الذبح

وهو على قسمين : الهدي والفدية . فالهدي هو الذبح الواجب على القارن والمتمتع . والفدية هي الدم الواجب على من ترك واجبا من واجبات الحج ، أو ارتكب محظورا من محظورات الاحرام ، فلبس ثيابه العادية يوما كاملا ، أو قص أطراف يديه ، أو تطيب ، وهذه الذبيحة للفقراء والمساكين . والشرط من الشاة أو المعزى أن تكون قد أتمت السنة من عمرها ، أو دون ذلك ، ولكنها ضخمة سمينة بحيث يظن من يراها بأنها بنت سنة . والبقرة أو الجاموسة ، أن تكون قد أكملت سنتين . والابل يشترط أن تكون قد أكملت الخامسة . ويجوز أن يشترك سبعة في البقرة أو الجمل . لأن البقرة أو الجمل تعدل في نظر الشرع سبعا من الغنم .

وقت الذبح

ويأتي عادة بعد رمي جمره العقبة والأيام التالية . ولكن يجوز عند الشافعية أن يذبح القارن والمتمتع قبل ذلك ، ويجوز في بعض المذاهب تأخيره إلى آخر ذي الحجة . أو إلى ما بعد ذلك ، هذا في ذبح الهدي . أما ذبح الفدية فلا حد لوقته ويجوز تأخيره .

أما مكان الذبح فهو الحرم كله . والأفضل أن يكون في منى . ويجوز في مكة ، وإذا لم يذبح الحاج في أيام العيد ، وأخر الذبح ، فإنه يذبح في مكة .

والهدي ، أي الذي يذبحه القارن والمتمتع ، يسن أن يأكل منه هو وأهله ، ويتصدق بما شاء منه ، ويهدي منه ، ويدخر منه ، أي أنه يفعل به كما يفعل بأضحية العيد .

التحلل الأصغر

بعد أن ينتهي الحاج من الرمي والذبح ، يحلق أو يقصر ، والحلق أفضل . والتقصير ، عند الحنفية ، شرطه أن يقص الحاج مقدار أئمة أي سنتمتر واحد من ربع الرأس على الأقل ، وعند الشافعية يكفي أن تقص شعرات معدودات ، فإذا فعل الحاج ذلك جاز له التحلل الأصغر ، أي أنه يلبس ثيابه ، ويقص أطرافه ، ويتطيب ، ويعمل كل ما كان محظورا عليه عمله ، إلا النساء .

رمي جمره العقبة

فإذا انتصف الليل ، جاز للحاج الخروج من المزدلفة ، والتوجه إلى منى للرمي . وأفضل وقت للبدء بالرمي أول يوم من الفجر إلى الزوال . ويجوز في المذاهب كلها إلى الغروب ويجوز أن يبدأ الرمي عند الشافعية والحنابلة من بعد منتصف الليل ، ويجوز أن يمتد إلى فجر اليوم التالي . بل إلى آخر أيام العيد . وخلاصة القول أنه إذا جمعنا بين المذاهب الأربعة وأخذنا بأوسع الأقوال فيها جاز الرمي أول يوم ابتداء من بعد نصف ليلة العيد إلى آخر أيام العيد . وفي أول يوم يرمي الحاج « جمره العقبة » فقط ، وهي الجمره القريبة من مكة .

آداب الرمي

والآداب في الرمي ، أن يأتي الحاج خاشعا ، ذاكرا لله ، متصورا فعل إبراهيم ، ويظل ماثرا على التلبية من وقت الاحرام إلى أن يصل إلى مكان الرمي ، فيقطع التلبية ويكبر . وكلما رمى حصاة سمى الله وكبر . ويتعد عن مكان الرمي قليلا . ليرمي الحصى رميا . ولا يقترب حتى يلامس الجمره . ويضع الحصاة بيده بلا رمي ، ولا يتعد فقع بعيدة عن الجمره ، أو يصيب بها رؤوس الناس فيؤذيهم فيرتكب حراما . وأن يتذكر الحاج أن إبراهيم كلف بأشق تكليف يكلف به انسان . وهو ذبح ولده الوحيد . فامتثل ، وجاءه الشيطان يصرفه عن تنفيذ أمر الله ، فطرده ورماه ، فولى . ثم عاد فرماه فولى ، وكان وقوف الشيطان في موضع هذه الدائرة التي ترمى فيها الحصيات والتي بقيت معروفة محدودة من أربعة آلاف سنة إلى اليوم (٢) .

أعمال يوم النحر

فإذا انتهى الرمي . نظر الحاج فإن كان قارنا أو متمتعا ذبح ، ثم حلق أو قصر . وإن كان مفردا حلق بلا ذبح . وإذا فعل اثنين من هذه الثلاثة . فقد تحلل من احرامه ولم يبق ممنوعا عليه إلا الأمور الزوجية . فإن لم يراع الحاج الترتيب في أعمال يوم النحر وهي : الرمي ، ثم الذبح ، ثم الحلق أو التقصير . ثم الطواف ، لم يكن عليه شيء عند أكثر الفقهاء

طواف الافاضة

هذا الطواف (٣) فرض في جميع المذاهب فمن لم يطف طواف الافاضة لم يقبل حجه . ويبدأ وقت طواف الافاضة . من بعد منتصف الليل من يوم الوقوف في عرفة ، أما آخر وقته ، فيمتد عند أكثر الأئمة إلى آخر العمر .

السعي

وهو ركن من أركان الحج في المذاهب الثلاثة ، ولا يصح الحج إلا به ، ويفسد بتركه . وهو عند الحنفية واجب أن تركه صح حجه وعليه دم ، فالحاج المقرد . عندما يصل مكة يطوف طواف القدوم والأفضل أن يسعى بعده . فإذا سعى ، فلا يجب عليه سعي آخر بعد طواف الافاضة .

والقارن . يحسن به أن يسعى بعد طواف القدوم . فإذا سعى ، فلا يجب عليه سعي آخر عند المالكية والشافعية والحنابلة . وعليه سعي آخر عند الحنفية فقط .

(٢) لا أظن أن في الدنيا مكان حادثة تاريخية ، حدد موضعه بهذه الدقة ، وقد مر عليه مثل هذا الزمن الطويل . (٣) الألوطة ثلاثة : طواف القدوم وهو سنة عند الجمهور - وطواف الافاضة وهو فرض عند الجمهور ، وطواف الوداع وهو واجب عند الجمهور على غير الحاج المكي وغير المرأة الحائض .

في المذاهب الثلاثة والشافعي المالكي والحنبلي .
وفي المذهب الحنفي سنة .

رمي أيام منى

المبيت عند الحنفي سنة أما الرمي فهو واجب عند الجميع . ففي أول يوم ترمى جمرة العقبة فقط أما في اليومين الآخرين فترمي الثلاث ابتداء بالجمرة الصغرى ، البعيدة عن مكة ، والتي تقع بقرب المسجد ، ثم الوسطى ، ثم الأخيرة .

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقف بعد الجمرة الأولى (الصغرى) والجمرة الوسطى وقفة طويلة يدعو ويذكر . والترتيب في الرمي شرط . إلا عند الحنفية فهو سنة .

ووقت الرمي يكون من بعد الزوال في اليومين الثاني والثالث من أيام العيد . فلا يجوز الرمي في هذين اليومين قبل الزوال .

غير أن كثيرين من الحجاج يقعون في خطأ شائع إذ يقومون بالرمي قبل الزوال ، ويستندون في ذلك إلى قول في المذهب الحنفي ، وهذا القول ، وهو ضعيف ، قاصر على جواز الرمي في اليوم الرابع من أيام العيد أو الثالث من أيام التشريق لمن بقي في منى ، لا في اليومين الأولين .

الرمي في اليوم الرابع من أيام العيد

يقول الله سبحانه وتعالى : « فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه » فالحاج يقيم في منى إن شاء يومين فقط ، ويرمي فيهما . أو يبقى ثلاثة أيام ، وذلك له ، ولكن إذا غابت الشمس من ثالث أيام العيد وهو لا يزال في حدود منى ، وجب عليه أن يرمي يوماً آخر . أما عند الحنفية فله أن يخرج ما لم يطلع فجر اليوم الرابع .

وسبب هذا الاختلاف هو أن الله عز وجل ذكر اليوم . ولم يبين أوله ، فقالوا بأنه يبدأ من غروب شمس اليوم السابق لأن الليالي تتبع الأيام المقبلة . وأخذ أبو حنيفة بالأصل وهو : أن اليوم اسم في الحقيقة للنهار ، قال تعالى « سبع ليال وثمانية أيام » . وهو يبدأ بطلوع الفجر .

من أخطاء الحجاج

كثير من الحجاج يقفون في عرفات قبل المسجد من جهة مكة . ويبيتون في منى بعد جمرة العقبة من جهة مكة ، والأولون لم يصح حجهم لأنهم وقفوا خارج عرفة ، والآخرين لم يصح مبيتهم وعليهم دم في المذاهب الثلاثة ، لأنهم لم يبيتوا في منى ، ومنى تنتهي حدودها بجمرة العقبة ■

أما المتمتع ، فعليه أن يسعى مرتين ، مرة للعمرة ومرة بعد طواف الافاضة للحج . فإن لم يسع بعد طواف الافاضة فسد حجه عند الجمهور . وكان عليه القضاء في العام المقبل . وصح عند الحنفية وجوب عليه الدم .

أما الذي يحرم بالحج من مكة ، فيسعى بعد طواف الافاضة ، ولكن إذا طاف بعد احرامه ، وسعى بعده . كفاه ذلك ولم يحتج إلى سعي آخر .

والسعي ليس عبادة مستقلة كالطواف . فلا يسعى إلا مرة في الحج . ومرة في العمرة . ولا يجوز السعي إلا بعد طواف ، أما الطواف فكلما أكثر منه كان أفضل .

ويجوز أن يسعى ولو كان محدثاً ، ولا يشترط له الطهارة ، فيجوز أن يسعى الجنب . وأن تسعى الحائض . والسعي سعة أشواط . يبدأ من الصفا إلى المروة . ولا يكون بين الأشواط فاصل زمني طويل ، ويسرع بين العمودين الأخضرين ، وهذا الاسراع سنة ، للرجال لا للنساء . فإن لم يسرع فاته ثواب السنة ، وما عليه شيء .

التحليل الطامل

فإذا أتم الحاج السعي ، فقد انتهى حجه . وجاز له كل ما كان ممنوعاً عليه بالاحرام . ولم يبق عليه إلا رمي الجمرات والمبيت بمنى ، يومين أو ثلاثة أيام .

الحائض

إذا حاضت المرأة ، تعمل كل أعمال الحج إلا الطواف ، فتحرم وهي حائض ، وتقف بعرفات وبمزدلفة وترمي الجمرات . وإذا جاءها الحيض قبل طواف الافاضة وجب عليها أن تنتظر حتى تطهر ، وتطوف . ويرى ابن تيمية أنها إذا اضطرت إلى السفر ، كأن تكون مع جماعة لا ينتظرونها ، أو أن الباخرة قد جاء موعد سفرها ، فانه يجوز لها أن تطوف . وعند الحنفية تطوف في مثل هذه الحال وتذبح بدنة أي جملاً أو ناقة .

المبيت في منى

المبيت في منى ، أو قضاء أكثر الليل فيها ، كأن يسهر فيها إلى ما بعد نصف الليل ويذهب إلى مكة ، أو يصلي العشاء في مكة ، ثم يذهب إلى منى فيمضي فيها أكثر الليل . هذا واجب



رمي جمرة العقبة في منى من مناسك الحج يوم العيد وأيام التشريق .



الحلق أو التقصير في منى من أعمال يوم النحر يتحلل بعده الحجاج .



وقد حشد البيت ثلثه مئتين وألفاً

في رحاب البيت العتيق

البيت القريب

بعد أن رفع إبراهيم القواعد من البيت أمره الله
« أن أدن في الناس بالحج » فأتوه رحلاً وعلى كل
صامر من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم
ويؤدوا هذا السنن المتروك عليهم . والأدان
يدل على أن الحج لم يكن مقصوراً على أهل
مكة وما حوطها . بل كان يشمل الناس عامة من

مختلف أقطار الأرض . وتعميم الناس بالأدان
يدل على أن الحج كان غير مخصص بصفة
معينة . فكان ممن يعد للحج الحنفاء والمشركون
ولصائدون والصاري واليهود (١) . يجمعهم الحج
على اختلاف ملهم وأهوائهم وعقائدهم وبيئاتهم
لاداء هذه العادة وللإجتماع في موسم الحج
وأسواقه في أمن الأشهر الحرم وأمن الحرم الذي
شمل الناس جميعاً حتى الحيوان وأسات في وقت

كان الناس فيه في أشد الحاجة للأمن . فكانوا
يتعارفون ويتبادلون الدفع ويعضدون الحرس
للمشاورة والتفاحرات وحل امشاكل . وقد أناحت
هذه الأسواق والمجالس لقريش فرصة لهضة
قومية واجتماعية وفكرية وتجارية . قطعت سدانة
البيت . وسقايه الحجيج وإفادته وأسديتها إلى
أنطون القوية القادرة عليها (٢) . وقد حشد
الرفادة لقريش كثيراً من الموائد الأدبية والمادية .



جلالة الملك المعظم يدعو ربه قبيل غسل الكعبة المشرفة بأن يوحد كلمة المسلمين وينصرهم على من عاداهم .

وهم كانوا يلبون ، فيقولون « لييك اللهم لييك » وكانت شعائر البيت عموماً لا تختلف عما يقوم بها سدنته الذين لم يكونوا يمنعون أحداً من التعبد فيه ، مهما اختلفت نحلهم وأديانهم ، باعتباره بيت الله .

ولما جاء الاسلام حرم الحج ودخول المسجد على المشركين في السنة التاسعة للهجرة . قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا . »

الحج في الجاهلية

كان للحج أشهر معلومات تعرف بالأهلة (٤) وهي شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، ومحرم في بعض الروايات . وكانت قریش ترى القيام بالعمرة في هذه الأشهر من أفجر الفجور (٥) . فلما جاء الاسلام سن الجمع بينهما .

وأول عمل كان يقوم به الحاج قبل البعثة هو الطواف بالبيت العتيق سبعة أشواط تبدأ من الركن الذي فيه الحجر الأسود . وكان

وقد هدم بعد انتشار اليهودية في اليمن . و « بيت رضا » الذي كان لبني ربيعة وتميم ، وقد أمر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، المستنصر ابن ربيعة بن سعد بهدمه فهدمه . وكذلك بيت « كعبة نجران » الذي أقيم مضاهاة للكعبة المشرفة . ويقول ابن الكلبي أنها « لم تكن بناء » وإنما كانت قبة من آدم من ثمانمائة جلد كان إذا جاءها الخائف أمن ، أو طالب الحاجة قضيت حاجته ، أو المسترفد رقد . وكان عليها أساقفة معتمون (٣) . ولم تستطع هذه البيوت النيل من مكانة الكعبة المشرفة في النفوس ، على الرغم من احتوائها الأصنام في الجاهلية ، فكانت أجل البيوت ذكراً وأعظمها قدراً . وكان الأساس الذي قامت عليه قداسة البيت العتيق أنه المقصود بالقداسة بذاته ، لا الأصنام أو الأوثان التي اشتمل عليها . فربما اشتمل البيت على الصنم أو الوثن تعظمه قبيلة وتزدريه أخرى ، فلا يتقص ذلك من قدر البيت عند المعظمين والمزدرين على السواء ، وكان العرب لا يدعون أحداً من الأصنام « رب البيت » ، بل كان المراد برب البيت الله عز وجل ،

فالضيافة تعتبر من أكبر المحامد عند العرب ، وقریش باطعامها الحجاج تكون كأنها عقدت جواراً مع هذه القبائل فوق أنها نالت احتراماً وفضلاً بينها . وهذا يسهل لها المرور بتجارتها آمنة نحو اليمن والشام شتاء أو صيفا .

وقد لفتت قداسة البيت العتيق ومكانته في نفوس الناس جمعاء أنظار بعض الطغاة ، فحاولوا هدمه وتحويل أنظار الخلق عنه فلم يفلحوا « ولليبت رب يحميه » . بيد أن ذلك لم يمنع ظهور بيوت أخرى عرفت « بالبيوت الحرام » كان يحج إليها الناس في أوقات معلومة ويتعاهدون على المسألة في جوارها . ومنها : بيت « الأقصر » في مشارف الشام وكانت تقصده قبائل قضاة ولخم وجذام وعاملة ، وتحج إليه وتحلق عنده رؤوسها . وبيت « ذي الخلصة » وهو بيت أصنام لدوس وخثعم وبجيلة وكان يسمى « بالكعبة اليمانية » ، وقد أمر الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، جريراً بن عبدالله البجلي بهدمه بعد فتح مكة . ومنها أيضاً بيت « رقام » أو « بيت صنعاء » يحج إليه اليمانيون وينحرون عنده ،



بحر زاهر من حجاج بيت الله الحرام يؤدون شعائر الحج في منى .

بمئات الألوف . وكان الحج والاستعداد له يستغرق أشهرا كاملة وربما نحو من عام . أما الآن ، لوجود وسائل النقل السريعة وتوفر وسائل الراحة ، فإن ذلك يمكن أن لا يتعدى أياما تعد على أصابع اليد الواحدة .

وحتى الماضي القريب (١٤) كان الحجاج يتعرضون لكثير من القتل والنهب من قبل قطاع الطرق . ويلاقون الكثير من المشاق والصعوبات حتى يصلوا الى بيت الله الحرام . وكثيرا ما كان الأدلاء أنفسهم يسوقون وفود الحجاج الى الصحراء القاحلة ويعرضونهم للشمس المحرقة بعد أن يكون الماء قد نفذ منهم . حيث يلاقون حنفهم . فيجمع الأدلاء أسلحتهم . أو كان قباطنة القوارب ينزلون الحجاج في أقرب ساحل حجازي مما يلي بلادهم . ويتركونهم في العراء بدون ماء أو طعام أو دليل . ليسارعوا الى حمل غيرهم من أفواج الحجاج . أما اليوم . وقد من الله على البلاد الأمن والاستقرار ، يلفت نظرك التعميمات والارشادات التي تصدرها وزارة الحج والأوقاف . والتي جاء فيها :

« على كل مطوف أن يستقبل الحاج من ميعوني هيئات الاستقبال بمكة المكرمة ويرحب به ويكرمه ويؤوده بالمعلومات الوافية ويقدم له المساعدات اللازمة لتمكينه من استئجار السكن المناسب له بالأجر المناسبة . ويشرف على

تقديمه أو تأخير في لأشهر الحرم (١٢) . إذ كانت العرب في الجاهلية تؤخر سنتها كل ثلاث سنين شهرا حتى توافق بين السنين القمرية والشمسية لجعل زمن الحج ثابتا في فصل من فصول السنة المعتدل الحرارة . وقد منع الاسلام ذلك . فقال تعالى « انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحولونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله » .

هذا . ولم يكن الأمن في الحرم متوفرا آنذاك كل التوفر . على الرغم من تقديس العرب للأشهر الحرم . وكان الحرم . فقد حصل أن تقالت قريش وكنانة مع جرارة في أيام الحج وفي منطقة الحرم . كما تقالت كدنة ضد هوازن وقيس . في حرب عرفت بحرب العجار . بالإضافة الى قباض صراع بين القبائل أدى الى دفن بئر زمزم مرة (١٣) . وتحدثنا بعض الروايات عن البغي واستحلال الحرمات الذي كان يقع بمكة . فكل هذه الأمور كانت تؤدي الى ضعف الحج وحلال الأمن وتعطيل المناسك الدينية ومنافع الناس .

التسيير للحج

كذا كان الحج في ذلك الزمان .. وكان الحجاج يعدون بالملئات . أما اليوم فانهم يعدون

الطائفون آنذاك يتخرجون من بطون الكعبة وعليهم ثيابهم الاعتيادية ، حذر أن يكونوا قد اقتربوا من المآثم وهي عليهم . وقد فرض لهم الخمس (٦) من قريش خلع ملابسهم قبل الطواف والتستر بماء أحمر . ومن لا يقدر على هذه المآزر أو لا يجدونها كانوا يصفون بلبيت عراة رجالا ونساء (٧) . بعد أن ينفوا ملابسهم التي كانت عليهم ولا يعودون إليها بعد الطواف . وكانت هذه الملابس تسمى « المتقي » . وكذلك سن لهم الخمس أن لا يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل في الحرم إذا جاءوا حجاجا أو عمارة . وفرضت قريش ضريبة تسمى « الحرير » على كل من نزل عليها من الحجاج (٨) . وكان كثير من الحجاج يأثمرون بأمر الخمس حتى أبطل الاسلام هذه العادات حين أبطل أمر الخمس وحرم على المشركين دخول المسجد الحرام .

والسعي بين الصفا والمروة كان من الأعمال التي يقوم بها الحجاج قبل الاسلام . أما أعظم أيام الحج فكان الوقوف بعرفات . وكان يسمى يوم « الحج الأكبر » . وكان الخمس من قريش لا يخرجون من الحرم يوم الحج الأكبر . وما يقفون في طرفه مما يلي عرفات . ويقولون في ذلك : « نحن أهل الحرم فليس ينبغي أن نخرج من الحرم ولا نعظم غيرها كما نعظمها . نحن الخمس والحرم أهل الحرم (٩) . وكان ليوم عرفات رؤساء لا يفيض الناس حتى يفيضون . فاذا أفاضوا أتوا « جمعا » (١٠) فتوقفوا عنده حتى الفجر . ثم أفاضوا منه الى منى . وكان من عادة العرب بعد أن يفيضوا أن يعقدوا مجالس المفاخرة ومناشدة الأشعار وتعدد مفاخر الآباء . وقد أبطل الاسلام هذه العادة . قال تعالى : « فاذا قضيت مناسككم فاذكروا الله كذا كرم آباءكم أو أشد ذكرا » .

وبعد قضاء الحجاج نسك الحج كان معظمهم يذهبون الهدى والقلائد (١١) عند الأوثان والأنصاب في فناء الكعبة مع ذكرها أثناء الذبح . ثم يلطخون جدار الكعبة بدمائها . وكانوا يأثمون من أكل لحوم الهدى . ولما جاء الاسلام نهى عن ذكر غير الله عند الذبح ، كما نهى عن تلطخ جدار الكعبة بدماء الهدى . فانه لا يناله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منهم . وكذلك أراح للحجاج أن يأكلوا من لحم الهدى ويضعوها للناس والفقير والتدبير والتعذر . وكان الناس بعد الفراغ من حجهم يأتون صاحب السبيء ليدل على عليهم ما يعلن من

(٦) مقدرة خمس . ومعه من حرم (١) غير عصري (٨) « العصر جدي » لشوقي صيف (٩) من هشم (١٠) مردفة

أو شعر حرم (١١) هو حيون من يسوقه حاج معه بعد ذبح نسكه . وكان من عادة عرب تقبيل الهدى بوضع قلادة في عنقه . وخرج سن

١٣٠٠ (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)

يعود على الاسلام والمسلمين بالخير والصلاح ،
وتلقى فيه الكلمات والقصائد . كما يلقي
جلالة الملك كلمة يبين فيها ما ينبغي على
المسلمين عمله في سبيل اعلاء كلمة الله ورفع
شأن الاسلام . وفي موسم الحج من العام الماضي
١٣٨٩ ، ألقى جلالة حامي الحرمين الشريفين
كلمة قال فيها :

« اذا كنا في أي يوم من الأيام في حاجة
الى التعاون وإلى التضامن فيما بيننا وإلى تلمس
طريقنا الى الهدى والرشاد ، فاننا في هذه الفترة
من الزمن أشد ما نكون الى تلمس هذه الأهداف
والغايات لنصل الى ما نصبو اليه من حفاظ
على ديننا وعقيدتنا وكرامتنا ومستقبلنا الذي نأمل
بحول الله وقوته أن يكون خيرا من ماضينا . »

« يجب أن نعود الى المحافظة على ديننا
وعقيدتنا وشريعتنا وأن نستعد للكفاح بكل ما أوتينا
من قوة . قوة الايمان والاخلاص ، ثم قوة الإصلاح
والنهوض ببلداننا وبكل ما يتطلبه هذا الاستعداد
من تقوية في أجهزتنا الدفاعية لنصل الى حقوقنا . »

« أرى أن أول شيء يجب علينا القيام به
هو أن نثقف أنفسنا في عقيدتنا وديننا ، فالكثير
منا يجهل مزايا الشريعة الاسلامية والعقيدة
الاسلامية لأننا نمر عليها مروراً سطحياً لا نتمتع
في مزاياها ومنافعها وخبراتها للدنيا والدين . »

« لو عدنا الى ديننا وإلى عقيدتنا وإلى مثلنا
لوجدنا أننا في المركز الذي يمكن أن يعطي
للعالم نورا يستضيئون به ليهتدوا الى سبيل الرشاد
ويعودوا عن غيهم الذي يتخبطون فيه . »
« الانقاذ لا يكون الا بتحقيق الايمان بالله

سبحانه وتعالى ، والاخلاص في العمل وتوحيد
الكلمة ، والسعي لما يحقق العدل والانصاف . »
« لذلك فاني أدعو أخواني المسلمين دعوة
مجددة أن يهبوا لنصرة الحق وهو حقهم ،
ولنصرة العدل وهو العدل فيهم . »

« اني أيتها الأخوة لأرى في العالم اليوم اتجاهها
الى نفس كل عقيدة تنتمي الى الله سبحانه
وتعالى ، فاني أدعوكم لأن تحضنوا أنفسكم
أمام هذه المبادئ بأن تقووا ايمانكم بربكم
واخلاصكم له وأن تعضوا على شريعتكم وعقيدتكم
بالتواجد حتى لا تبلغ هذه التيارات منكم رغبتها
وما تصبو اليه . »

وفي صباح اليوم السابع من ذي الحجة
من كل عام يتشرف جلالة قائد الحجاج بغسل
الكعبة المشرفة بماء زمزم ، يشاركه في ذلك
رؤساء بعثات الوفود الاسلامية وبعثات الحجاج



١- أفواج الحجاج تفد الى ميناء جدة البحري لحج بيت الله الحرام .

٢- رجال الشرطة والنجدة يسهرون على مصلحة الحجاج في عرفت حفظ على سلامتهم وأمنهم .

٣- قطع هذا الحاح الصغير آلاف الأميال ليشهد منافع للناس في عرفات ويذكر اسم الله في أيام معلوت .

٤- يتشرف حامي الحرمين الملك فيصل المعظم ورؤساء وفود الحجاج بغسل الكعبة المشرفة مرة كل عام قبل
الطلوع الى عرفات .

الحقيقة بي كتب لا انصور كيف
ستطع أي نصح . أو أنه هينة . أو أيد
حكومة ترتب وسين نغسة مثل هذا اعدد
من الحاح . وبهذه الحاح والمعينة اساسين
لأدبه مرتض احح . وكحي ذهلت نان كل
سي . الأمر الله ثم نقص القديين على
لأمر في هذه البلد ، كان بعد تشكل
دقيق كمثل لجميع حاح د . مسك احح
في راحة وسر واضمحلا لا تصور .

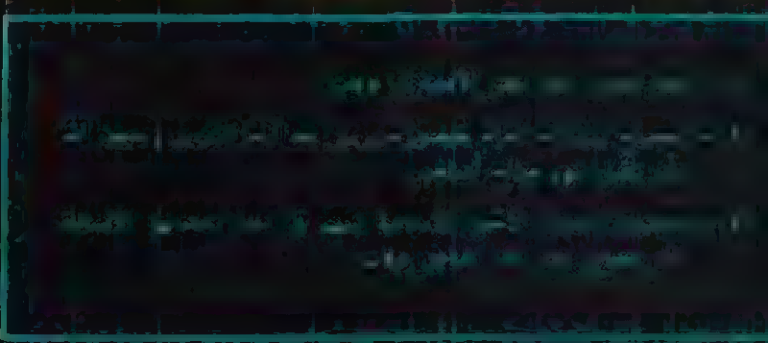
١٣٨٩

محمد احمد الكومي
رئيس اسعنة الطبية المصرية

بي دي « استجد » تنرق كنصحى
دسكين وكلهم اسلام
لراكن . ساحدين . ومن ثم
مسا « انصاف » تحية وسلام
قد آسف لرحمن بين قلوبهم
وهم به شوق والاعاء
يلمور بحاجتهم من كل ما
ميت به الأرواح والأحباء
ويكبرون الله بين « مشاعر »
فيها الدموع تمور وهي سجد

١٣٨٩

أحمد ابراهيم لغراوي



وأصحاب الفضيلة العلماء ، وتنقل مراسم غسل الكعبة المشرفة عبر إذاعات وتلفزيون معظم البلاد العربية الإسلامية .

وفي مكة المكرمة تكتظ الشوارع والعمارات الشاهقة بأفواج الحجاج . وفي المسجد الحرام يزدحم المطاف والمسعى بالحجاج والمعتمرين حتى لا تكاد ترى موقعا لقدم ولا تسمع الا أصوات التلبية والذكر والدعاء .. خاشعة قلوبهم شاخصة أبصارهم دامعة أعينهم . وقد تجردوا من مشاغل الدنيا ومهامها . هم أمام الله واحد .. غنيهم وفقيرهم . أبيضهم وأسودهم . عربهم وعجمهم ، لا يفرق بينهم الا التقوى والإيمان .

وفي اليوم الثامن من ذي الحجة تنتقل طلائع الحجاج أفواجا في ملابس الاحرام الى منى فلا ترى سوى قطعا من النهار سائرة ، ولا تسمع الا أصوات التلبية « ليك اللهم ليك ، ليك لا شريك لك ليك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » .

وفي منى يبيتون ليلتهم . ثم ينتقلون في اليوم التالي الى عرفات ، واليها ينتقل أيضا بقية الحجاج ممن لم يبيت في منى . و « الحج عرفة » . بها يقضون يومهم بين استغفار ودعاء . خاشعين . مهطعين رؤوسهم . متوجهين بقلوبهم الى الله تعالى . متضرعين ملحين في الدعاء والابانة ، متجردين كل التجرد من أدران الدنيا . واجين القبول والصفح . ألا ما أروع من منظر : الخيام منبسطة على مهاد من الأرض ، والناس توحدهم ملابس الاحرام .. لا تسمع الا أصوات التكبير والتهليل والدعاء والابانة : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » .

هذا رجل حمل أعباء السنين على ظهره وأبيض شعره وهرم جسمه . قطع آلاف الأميال ليقف هذا الموقف دامعة عينه داع قلبه : « ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا في الاسلام » . وهذا طفل غض الاهاب أتى ليشرك في هذا الموقف الجليل : « ربنا هب لنا من أموارنا رشدا » . وتلك عجوز بلغ بها الضعف مبلغه . قلبها يتفتت حسرة عند ذكرها صغارا لها كزغب القطا تركنهن في عهدة من لا يخيب فيه الرجاء . واتجهت تؤذي فرضا كتب عليها وتقف أمام الله وتدعوه : « ربنا هب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » .

فيا له من موقف جليل حري بأن تشد اليه الرحال وتحتمل في سبيله المشاق .. يقف فيه نحو مليون ونصف مليون حاج على صعيد واحد .

سرت جدا بما لاحظته من عبث واهتمام المسؤولين هنا في التمسكة العربية السعودية بظاهر المشاعر المقدسة بالظهر اللائق الذي يساعد حاج بيت الله الحرام على أداء التريضة بكل راحة وأطمئن . وأننى مقدرا لما لديه من إحسان ساهروا عن المرور في أثناء مقدسة . وأشد أيدى بالناحية الصحية التي كنت فنانها عنه انتشار أي مرض ودني .

١٣٨٩

حمد بركاش
وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
ودئيس بعثة الحج المغربية

هو يوم يذكر الانسان بيوم الحشر الأكبر .. وبين أصوات الدعاء والتبيل يطرق سمعك هدير طائفة حوامة تحلق في الأجواء لتنظيم المرور والتأكد من سلامة الحجاج . أو صوت المعلق وهو يعلن عبر مكبرات الصوت عن حاج تائه ويطلب من مطوفه تسلمه . وفي الظهر يصل الى مسامعك ، أينما كنت في عرفة ، عبر مكبرات للصوت ، صوت الامام وهو يؤم الناس بصلاة الظهر ، ثم صوته وهو يلقي خطبة عرفة . وان تجولت جهة سفح جبل الرحمة يلتفت نظرك أكاداس من الثلج مبذولة للجميع بلا مقابل .

وبعد غروب شمس اليوم التاسع من ذي الحجة يفيض الحجاج الى المزدلفة (١٥) مكبرين مهللين مليون .. وفي المزدلفة يصلي الحجاج المغرب والعشاء قصرا جمع تأخير بأذان واحد واقامتين ، فلا ترى الا أضواء خافتة تنبعث من قناديل الآلاف المولفة التي افترشت الأرض ملية مهللة مكبرة ذاكرة الله تعالى « فاذا أفضم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام » .

وبعد منتصف الليل يفيض الحجاج مرة الى منى . قترفع أصوات محركات السيارات وأبواقها مختلطة بأصوات التلبية والتكبير والتهليل .. مليون ونصف مليون حاج ينتقلون في وقت واحد ، وتسير الأمور كأحسن ما يمكن أن تسير .. لا ازدحام ولا توقف طويل ولا حوادث تذكر ، ولا غزو فالمسالك متعددة ورجال المرور مهيمون على السير .

وفي منى يتجه الحجاج الى جمره العقبة ويرمىها كل حاج بسبع حصيات مكبرا . ويرمىها تنقطع التلبية . ويحرص معظم الحجاج على أن يرمي جمره العقبة قبل الزوال من يوم العيد . وبعد رمي جمره العقبة يتجه بعض الحجاج الى

مكة المكرمة ليطوف طواف الافاضة « وليطوفوا بالبيت العتيق » ، ومنهم من يتجه الى هديه .. يذبحه أو ينحره في المكان المخصص لذلك ذاكرا اسم الله عز وجل ، فالذبح في غير موضعه ممنوع منعا باتا ، وذلك حرصا على سلامة الحجاج وصحتهم .

وفي منى يبيت الناس ثلاث ليل . الا « من تعجل فسي يومين فلا اثم عليه » ، ويرمون في كل يوم الجمرات الثلاث بسبع حصيات من وقت الزوال حتى غروب الشمس من كل يوم . فكانت ترى الجموع الزاخرة تسير في شارع الجمرات كالسيل الجارف في طريقها الى الجمرات أو عائدة منه .. لا ترى سوى الآلاف المولفة من البشر ولا تسمع الا أصوات التكبير مقترنة بصوت ارتطام الحصى الصغيرة بجدار الجمرات . وإذا ابتعدت عن شارع الجمرات تناهت الى أذنك أصوات التهليل والتكبير الصادرة عن مكبرات الصوت التابعة لوزارة الاعلام ، أو صوت مضخة مييدات الحشرات وهي تنفث دخانها الأبيض في الشوارع والأزقة . بينما اكتظت دكاكين الباعة بكل ما تطلبه النفس : حرائر . وهدايا مصنوعة في الأراضي المقدسة ، وشواء زكي الرائحة ، وفاكهة تشد اليها النظر . ويلفت نظرك في مكان آخر عمال النظافة جادون في أعمالهم ، والكشافة من أبناء المدارس منهمكون في ارشاد حاج . وان صعدت النظر قليلا لفت نظرك مستوصفات تقدم العلاج مجانا ، وعربات الحلال الأحمر الإسلامية ، ومجالس الافتاء وقد جلس كل عالم وحوله جمع من الحجاج يسأله كل منهم ما عن له من أحكام نسكه . أيام فريدة ترى فيها التسامح والتعاطف ونبد الألقاب والبعد عن اللغو من القول « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » .

ويستهي الحج بطواف الوداع بعد قضاء أيام التشريق في منى .

وتجتمع اللجنة الصحية العليا للحجاج التي تضم أطباء من البلدان الإسلامية ، فتقرر سلامة الحج ونظافته من جميع الأمراض الوبائية والمخبرية .

وبعد . فما أحرانا بالتأمل في حكمة الحج والاستفادة من موثمه فيما يعود على الأمة الإسلامية بالخير ، والتخلق بالأخلاق التي دعا الباري الى اعتناقها في مواسمه

رئيس التحرير

الحج هو تمراس المجد

بقلم الأستاذ محمد سعيد العامودي

ويقضي على الشرك، ويقاوم كل أنواع الانحراف، وليعيد الى الحج صورته الأولى .. ليعيد اليه حرمانه وأصوله وأسمه .
جاء ليجمع من الحج الى بيت الله الحرام ، الركن الخامس من أركانه الخمسة ، جاء ليفرضه مرة في العمر على كل من استطاع اليه سبيلا . قال تعالى : « والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » .

أنزلت هذه الآية الكريمة في السنة التاسعة من الهجرة . وفي هذه السنة أمر الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، أبا بكر أن يحج بالناس ، ثم بعث في إثره علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ليتلو على الناس سورة براءة ، ثم كانت حجته صلوات الله عليه وسلامه ، في السنة العاشرة وهي حجة الوداع وأول حجة في الاسلام قادها الرسول ، صلى الله عليه وسلم .

وصف حجة الوداع . وفي ذلك اليوم المشهود . يوم الحج الأكبر . خطب الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، خطبة الوداع ، بين فيها الأسس التي يقوم عليها الاسلام ، وأعلن فيها حقوق الانسان لأول مرة في تاريخ الانسان !

كانت خطبة الوداع دستوراً شاملاً للمسلمين . دستوراً مستمداً من القرآن ، كانت نبراساً

اسماعيل وأمه هاجر ، كما جاء في الذكر الحكيم . « ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .
أجاب الله دعاء الخليل . وأضحت مكة منذ ذلك الحين ، بلد الله الأمين . اليها تشد الرحال . وعلى أرضها المشرفة . يتلاقى الوافدون ...

وبمضي الزمن .. وتوالى العصور . وبظل الحج لمئات ومئات من السنين يؤديه الوافدون على نهج ابراهيم ...

ومع مضي الزمن . ومع تنافس العهود والعصور . تتغير أمور . وتجيء الوثنية .. الى أرض الطهر .. فيتبدل الوضع حينئذ .. ويضيف الوثنيون على أعمال الحج زيادات غيرت من أصولها ، وشوهت من صورتها .. زيادات ما أنزل الله بها من سلطان . من شرك . ومن عبادة لغير الله . الى غير ذلك من ألوان التبديل والتحريف .
لقد دام ذلك فترة من الزمن في عهد الجاهلية العربية .. فعاد الحج شيئاً آخر .. شيئاً يختلف عما كان عليه في عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام .

وجاء الاسلام الخفيف ، وأشرق نوره في الوجود . جاء ليجيي دين الحنيفية الحق .

قال الله تعالى في كتابه المجيد : « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا نفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ، ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه » .
وبهذا الأمر الكريم تلقى نبي الله وخليته سيدنا ابراهيم الأذان في الناس بالحج . منذ أن أتم هو وولده سيدنا اسماعيل - عليهما السلام - بناء البيت الحرام . امتثالاً لأمر الله . ليكون هذا البيت المطهر مثابة للناس وأمناً .. اليه يتوافد المؤمنون ، وفي جواره يؤدون شعائر الله .. يطوفون به ، ويحجون الى عرفة ، ويقومون بسائر المناسك ، ويلتمسون من ربهم وخالقهم . المعبود وحده دون سواه . العفو والغفران .
الى بيت الله يتوافدون . وفي رحابه يتعبدون . لا يشغلهم سوى الذكر والدعاء ، والتلهيل والتكبير ، تتصاعد ألسنتهم بالتلبية ، صادرة من أعماق قلوبهم : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » .

وكانت دعوة الخليل - قبل ذلك - لربه عندما أزمع على الرحيل من مكة تاركاً فيها ولده



جلالة الفيصل المعظم يلقي خطاب في الوفود الإسلامية في اليوم السابع من ذي الحجة عام ١٣٨٩ هـ .

ان هذا اللقاء .. أو هذا الالتقاء ، خليق به أن يصله واصفوه ، أنه المؤتمر الأكبر لأمة الاسلام .

انه . لا شك ، أكبر مؤتمر ، في تمثيله لسائر الجنسيات ، ولجميع البلدان .

وتلك أعظم منافع يشهدها الحجيج ، ويشارك فيها معهم كل المسلمين .

يشهدها في مهد الاسلام ، ومركز الدائرة في العالم الاسلامي .

ثم أنه من الواضح أن من سمات هذا المؤتمر أنه بعيد عن تقاليد الرسميات ، وبعبارة أوضح عن تقاليد المؤتمرات ، فلا جدول أعمال فيه ، ولا تصدر عنه قرارات أو توصيات ..

وانما كل ما فيه هو التعارف والتعاطف .. والحفاظ على الوحدة ...

يتواصى ضيوف الرحمن فيه ، بأن يتعاونوا على الخير ، وأن يحرص المسلمون دوماً في سائر أوطانهم على أن تظل فيما بينهم رابطتهم الكبرى هذه : بنيانها شامخ ، ولواؤها مرفوع ..

وأن يأخذوا بأسباب التقدم ، ويدودوا عن اسلامهم وكيانهم ، موحدوا الكلمة والرأي لا يعتدون على أحد ، كما لا يقبلون أن يعتدى عليهم أحد .. ينشدون السلام للجميع على أساس من الحرية للجميع . والعدالة للجميع ..

وفي هذا اللقاء . أو في هذا الالتقاء . كما يقول الكاتب الاسلامي السيد أبو الحسن الندوي : « في هذا الالتقاء الديني الروحي الذي لا نظير له على وجه الأرض ... وفي هذا الضجيج من الدعاء والذكر والتلبية والاستغفار ، ما يعيد الحياة الى القلوب الميتة ، ويحرك الهمم الفاترة ، وينبه النفوس الخاملة ، ويشعل شرارة الحب والطموح التي انطفأت أو كادت تنطفئ » .

ويجلب رحمة الله » .

وتقارب . في كل ذلك من شهود المنافع - كما جاء في القرآن الكريم - ما يفوق الحصر ، ولا تحده حدود !

أجل .. ففي أيام الحج يتعارف المسلمون . فننمو روابطهم ، وتقوى صلاتهم ، ويتأكد المعنى الجليل لوحدهم الاسلامية .

يوم عرفة .. يوم الحج الأكبر . يكون هناك لقاء ، وبإله من لقاء ! لقاء تمثل فيه الوحدة ، كأروع وأجمل ما تكون !

انه لقاء العبودية لله ، والأخوة في الله ، لقاء المساواة في كل مظهر ، وفي كل خطوة وكل حركة وكل اتحاه .. فلا كبير ولا صغير . ولا غني ولا فقير ، ولا سائد ولا مسود ، بل الكل سواء ، في خضوعهم لربهم . يلتصقون رضاه ، ويرجون منه المغفرة .

وفي هذا اللقاء . أو في هذا الالتقاء . كما يقول الكاتب الاسلامي السيد أبو الحسن الندوي : « في هذا الالتقاء الديني الروحي الذي لا نظير له على وجه الأرض ... وفي هذا الضجيج من الدعاء والذكر والتلبية والاستغفار ، ما يعيد الحياة الى القلوب الميتة ، ويحرك الهمم الفاترة ، وينبه النفوس الخاملة ، ويشعل شرارة الحب والطموح التي انطفأت أو كادت تنطفئ » .

ويجلب رحمة الله » .

يسرون على ضوئه . ليحفظوا بذلك بسعادتي الدنيا والآخرة . ويكونوا - كما أراد الله لهم - خير أمة أخرجت للناس .

أرشدهم فيها رسوهم الكريم الى احترام الحقوق . ونهاهم عن الربا ، وهو من أعظم الموبقات ، وأوصاهم بالمرأة ، وأوضح ما لها من حقوق ، وما عليها من واجبات ، وأكد على وجوب صيانة روابط الأخوة بين المؤمنين .

على أساس من المساواة والعدل ، ودون نظر الى عنصر أو لون .

فأية عدالة هذه ؟ بل أية مثالية هذه في حسن المعاملة ، وصيانة الحقوق ؟

انها عدالة الاسلام ، ومثالية الاسلام . مثالية لا يمكن أن تسمو اليها في عدلها الالهي . أية قوانين من صنع البشر ، أو أية فلسفات !

مثالية تحقق بها الخلود للاسلام . فأصبح ديناً للانسانية في كل زمان ومكان . ديناً للعبادة والحياة ، للقوة والنماء . والتقدم في كل ميدان . فرض الله الحج ، عبادة من أشرف العبادات .

وسيلة للتعارف ، وسيلة لاتحاد المسلمين . وفي كل هذا الذي يؤدية المسلمون في الحج . على صعيد واحد ، وفي أيام معلومات ، من عبادة لخالقهم ، بعيدين عن أهبتهم وديارهم . وفيما يظفرون به مضافاً الى ذلك . من تعارف

وسيلة للتعارف ، وسيلة لاتحاد المسلمين . وفي كل هذا الذي يؤدية المسلمون في الحج . على صعيد واحد ، وفي أيام معلومات ، من عبادة لخالقهم ، بعيدين عن أهبتهم وديارهم . وفيما يظفرون به مضافاً الى ذلك . من تعارف

وسيلة للتعارف ، وسيلة لاتحاد المسلمين . وفي كل هذا الذي يؤدية المسلمون في الحج . على صعيد واحد ، وفي أيام معلومات ، من عبادة لخالقهم ، بعيدين عن أهبتهم وديارهم . وفيما يظفرون به مضافاً الى ذلك . من تعارف

وسيلة للتعارف ، وسيلة لاتحاد المسلمين . وفي كل هذا الذي يؤدية المسلمون في الحج . على صعيد واحد ، وفي أيام معلومات ، من عبادة لخالقهم ، بعيدين عن أهبتهم وديارهم . وفيما يظفرون به مضافاً الى ذلك . من تعارف

وسيلة للتعارف ، وسيلة لاتحاد المسلمين . وفي كل هذا الذي يؤدية المسلمون في الحج . على صعيد واحد ، وفي أيام معلومات ، من عبادة لخالقهم ، بعيدين عن أهبتهم وديارهم . وفيما يظفرون به مضافاً الى ذلك . من تعارف

وسيلة للتعارف ، وسيلة لاتحاد المسلمين . وفي كل هذا الذي يؤدية المسلمون في الحج . على صعيد واحد ، وفي أيام معلومات ، من عبادة لخالقهم ، بعيدين عن أهبتهم وديارهم . وفيما يظفرون به مضافاً الى ذلك . من تعارف

وسيلة للتعارف ، وسيلة لاتحاد المسلمين . وفي كل هذا الذي يؤدية المسلمون في الحج . على صعيد واحد ، وفي أيام معلومات ، من عبادة لخالقهم ، بعيدين عن أهبتهم وديارهم . وفيما يظفرون به مضافاً الى ذلك . من تعارف

وسيلة للتعارف ، وسيلة لاتحاد المسلمين . وفي كل هذا الذي يؤدية المسلمون في الحج . على صعيد واحد ، وفي أيام معلومات ، من عبادة لخالقهم ، بعيدين عن أهبتهم وديارهم . وفيما يظفرون به مضافاً الى ذلك . من تعارف

في سنة ١٣٦٨ هـ ، وجه جلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود خطابا مفتوحا موجها الى جريدة المدينة المنورة ينشر فيه العالم الاسلامي بعزمه على توسعة وعمارة الحرم النبوي الشريف ، وقد نشر هذا الخطاب في العدد ٣٠١ من الجريدة نفسها . الصادر في تاريخ ١٣٦٨/٩/٥ هـ .

ومنذ ذلك التاريخ أخذ المشروع سبيله للبحث والدراسة حتى وصل الى مرحلة التنفيذ . وفي اليوم الخامس من شهر شوال ١٣٧٠ هـ بديء في تنفيذ التوسعة والعمارة ، وكان أول شيء بديء به هو هدم الدور والحوائط المحيطة بالمسجد ، بعد أن عوض أصحابها عنها .

وفي شهر ربيع الأول ١٣٧٢ هـ احتفل بوضع الحجر الأساسي لتوسعة وعمارة الحرم النبوي الشريف ، وفي ١٤ شعبان من العام نفسه بوشر في حفر الأساسات بالجناح الغربي من الحرم في المنطقة التي تلي باب الرحمة .

وفي ٢٤ رمضان من العام نفسه بديء في بناء العمارة الشريفة . ومن ثم أخذ عمل المشروع سبيله في التأسيس والانشاء حيث أنشيء مكتب خاص ضم اليه أكثر من خمسين موظفا يعملون في الأعمال الادارية والفنية والحسابية والمستودعات وغيرها من الأقسام اللازمة للمشروع ، كما شكلت أيضا لجنة خاصة من كبار رجال المدينة المنورة لتقدير أثمان العقارات المزروعة ملكيتها لصالح المشروع ، وتعويض أصحابها عنها .

وقد بلغت مساحة الأراضي التابعة للدور والأماك التي انتزعت ملكيتها لصالح التوسعة ، والشوارع والميادين المحيطة بالحرم النبوي (٢٢٩٥٥) مترا مسطحا .

وأنشيء من أجل العمارة مصنع خاص لانتاج حجارة « المزايكو » ، وزود بكامل الأدوات الميكانيكية ، واختير له مكان في منطقة «أبيار علي» حيث جلب له مهندسون أخصائون وعمل فيه حوالي أربعمئة شخص ..

وقد عمل في مشروع توسعة وعمارة الحرم النبوي الشريف أربعة عشر مهندسا . بالإضافة الى حوالي ١٧٠٠ عامل وفني من بينهم أكثر من ألف وخمسمئة عامل سعودي .. كما استخدم فيه أكثر من أربعين قطعة من الآلات الرافعة والتركورات « الجرافات » والسيارات الضخمة .

المسي بين الصف والمروة وقد جرت توسعته للساعين بشكل يسمح لأعداد كبيرة من الحجاج بتأدية هذه الشعيرة الدينية .

مساحة الحرم النبوي

بلغت مساحة الحرم النبوي الشريف منذ أن بناه النبي الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، وبعد أن شملته التوسعة والعمارة السعودية الجديدة بما فيها عمارة الأجزاء القديمة التي هدمت وأعيد بناؤها ومساحة الجهة القبلىة الباقية من البناء القديم ، بلغت ١٦٣٢٧ متراً مربعاً . وفيما يلي بيان تفصيلي يمثل الأرقام الصحيحة للمساحات التي شملتها التوسعات عبر التاريخ :

| مساحة الحرم النبوي الشريف حينما بناه | أمتار مربعة |
|--|-------------|
| النبي الكريم ، صلى الله عليه وسلم | ٢٤٧٥ |
| زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه | ١١٠٠ |
| زيادة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه | ٤٩٦ |
| زيادة الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك | ٢٣٦٩ |
| زيادة الخليفة العباسي المهدي | ٢٤٥٠ |
| زيادة الملك الأشرف قايت باي | ١٢٠ |
| زيادة السلطان عبد المجيد خان العثماني | ١٢٩٣ |
| مجموع مساحة الحرم النبوي الشريف قبل التوسعة السعودية ... | ١٠٣٠٣ |
| مجموع الزيادة السعودية | ٦٠٢٤ |
| مجموع مساحة الحرم النبوي بعد التوسعة السعودية | ١٦٣٢٧ |

شملت توسعة صحن المطاف بالمسجد الحرام في مكة المكرمة وضع قبة من البلور على مقام ابراهيم الخليل عليه السلام حيث يتمكن الحجاج من رؤية الحجر الذي كان يقف عليه ابراهيم عند بناء كعبة المشرفة .

أيام الجمع والأعياد فضلاً عن ازدحام موسم الحج الملموس .

وبالنسبة للمسعى فقد فصلت جميع الدور والمباني القائمة بينه وبين المسجد ، وأصبح على مر العصور طريقاً عاماً تقوم على جوانبه مختلف الحوانيت مما جعل عملية السعي شاقة ومثيرة تتطلب كثيراً من اليقظة والحذر تلقاء ما يعاينه الساعي من العنت والهرج والمرج أثناء تأديته شعيرة السعي . وقد ظل المسجد الحرام على هذه الحال عصوراً طويلة الى أن بزغ فجر العهد السعودي الزاهر وصدرت الأوامر العالية من جلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود بتوسعة وعمارة المسجد الحرام ، وقد بوشر في هذه التوسعة عام ١٣٧٥ هـ . ولا كان مشروع توسعة وعمارة المسجد الحرام عظيماً هائلاً تشكلت له في البداية هيئات وإجان

قواعد البيت واسماعيل ابنى أن بعث الله محمداً . صلى الله عليه وسلم ، للناس جميعاً ، وانتشر الاسلام وأخذ عدد الحجاج يزداد من مختلف أقطار العالم الاسلامي لاداء فريضة الحج ، مما جعل مساحة المسجد تضيق بالحجيج ، فكان من نتيجة ذلك أن أحس قادة المسلمين بوجوب توسعة المسجد لاستيعاب أكبر عدد ممكن من حجاج بيت الله الحرام ، فأخذت الزيادة تتوالى في مساحة المسجد الحرام منذ عهد الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حتى عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله . وفي عام ٣٠٦ هـ أي بعد زيادة الخليفة المقتدر بالله ، لم تطرأ أية زيادة على مساحة المسجد الحرام باستثناء بناء الدور من حوله حتى أصبحت جميع الطرق المؤدية الى المسجد ضيقة مما أدى الى الازدحام الزائد في

أما نفقات توسعة وعمارة الحرم النبوي الشريف فقد بلغت بموجب الاحصاء الدقيق والبيانات الصادرة عن مؤسسة « بن لادن » برحمه الله (٥٧٩١٠٧٠٧) ريالاً سعودية . وقد استغرق العمل في مشروع التوسعة والعمارة حوالي خمس سنوات تمت بعدها توسعة وعمارة الحرم النبوي الشريف على أكمل وجه والله الحمد . والجدير بالذكر أن جلالة المغفور له الملك عبد العزيز كان قد أمر بأن تكون نفقات التوسعة والعمارة على حساب جلالة الخاص .

كان المسجد الحرام قائماً في قطعة صغيرة من أرض مكة المكرمة . وذلك منذ رفع ابراهيم



جانب من المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة حيث ترى العقود الجديدة التي شملتها التوسعة السعودية .

ومكاتب لوضع الخرائط والتصميمات اللازمة للمشروع وللإشراف على تنفيذه وإنجاز مراحله . وقد كان أول عمل فكر فيه المسؤولون عن المشروع . هو وجوب ادخال الطريق القديم الذي كان يخترق المسعى . والذي كان يمر من أمام المسجد . وقد جرى تحويله الى ما وراء الصفا خارج حدود التوسعة والعمارة الجديدة . ولما كان الطريق القديم يشكل مجرى السيول فقد عمل المسؤولون على ايجاد مجرى خاص لتحويل اتجاه السيول الى خارج حدود التوسعة والعمارة ..

وفي الرابع من ربيع الثاني ١٣٧٥ بدىء في تنفيذ المشروع بالتمهيد لأعمال التوسعة وتحويل الطريق واتجاه مجرى السيول في وقت واحد ، كما تم هدم جميع المباني القديمة المحيطة بالحرم في المرحلة الأولى للمشروع . ثم حفرت أساسات الجدار الخارجي للتوسعة من منطقة المسعى وفي منطقة أجياد من جانب المسعى الى ما يقابل باب أم هانئ من المسجد الحرام . وفي ٢٣ شعبان ١٣٧٥ احتفل بوضع الحجر الأساسي لأعمال التوسعة والعمارة . وقد اشترك في الحفل مندوبون عن كثير من البلاد الاسلامية ورجال السلك السياسي الاسلامي . وعدد كبير من أعيان البلاد ووجهائها وكبار موظفي الدولة ..

ولما يجدر ذكره أن طول المسعى بين الصفا والمروة من الداخل يبلغ ٣٩٤ مترا ونصف المتر وعرضه عشرين مترا . وارتفاع الطابق الأول منه اثني عشر مترا . والطابق الثاني تسعة أمتار . وقد جعل هذا الأخير مصلى تابعا للمسجد . كما جعل للمسعى الجديد ثمانية أبواب رئيسية تطل على واجهة الشارع الشرقي العام .

وأقيم فوق الصفا سقف مستدير مقبب وبجواره منارة ضخمة يبلغ طولها اثنين وتسعين مترا . وقد جعلت للمسجد سبع مآذن جديدة . واحدة فوق باب الصفا واثنان بباب الملك عبد العزيز . وأخريان بباب العمرة والمئذنتان الباقيتان بباب السلام الكبير . وهذه ثلاثة أبواب رئيسية كبيرة شملتها التوسعة الجديدة . كما أقيم على جانبي كل باب سبيلان لسقيا الحجاج من ماء زمزم مباشرة وذلك لتخفيف الضغط على البئر في موسم الحج .

والجدير بالذكر أن المسجد الحرام . بعد التوسعة السعودية . أصبح يستوعب نحو ٦٠٠ ألف مصلى بعد أن كان يتسع لـ ٥٠٠ ألف مصلى .

توسعة المسجد الحرام

كانت مساحة المسجد الحرام قبل التوسعة تقدر بتسعة وعشرين ألفا ومائة وسبعة وعشرين مترا مسطحا . وقد بلغت الآن بعد التوسعة مائة وتسعين ألف متر مسطح بما في ذلك الطابقين الرئيسيين . أي بزيادة قدرها مائة وستون ألفا وثمانمائة وثلاثة وسبعون مترا مسطحا . أما نفقات المشروع فقد قدرت بمبلغ ستمائة مليون ريال سعودي بما في ذلك الأعمال الانشائية والتعويضات عن العقارات التي انتزعت ملكيتها لصالح المشروع .

توسعة وأصلاحات داخل المسجد الحرام

لما كان المطاف حول الكعبة المشرفة يضيق بالطائفين خصوصا في موسم الحج . وعند مقام سيدنا ابراهيم عليه السلام . وكذلك عند مبنى بئر زمزم . فقد أزيل المبنى الكبير الذي كان قائما فوق بئر زمزم ليكشف عن الكعبة من الجهة الشرقية . ولجعل بئر زمزم من أسفل حيث ينزل الحجاج عبر درج خاص . وبالنسبة لمقام سيدنا ابراهيم عليه السلام . فقد أمر جلالة الملك فيصل حفظه الله . بإزالة الغطاء الموجود فوق المقام ووضع غطاء بلوري خاص بدلا منه . يغطيه قفص حديدي ذو حجم صغير يسمح بتوسعة المطاف من جهة . كما يمكن الحجاج من مشاهدة الحجر الذي كان يقف عليه سيدنا ابراهيم أثناء قيامه ببناء الكعبة المشرفة . وعليه آثار قدميه .

وفي شهر رجب من عام ١٣٨٧ هـ . تشرف جلالة الفيصل المعظم بأزاحة الستار عن الغطاء البلوري الجديد لصحن المطاف في احتفال رسمي شارك فيه مندوبون عن بعض البلاد الاسلامية . وعدد كبير من علماء الدين في المملكة . ورجال السلك السياسي العربي والاسلامي كما نقل ، لأجل توسعة المطاف . المنبر من مكانه الى الناحية الشرقية محاذيا لمكانه السابق . وبهذه التوسعة أصبح المطاف والله الحمد رحبا واسعا للطائفين .

ترميم الكعبة المشرفة

لما كان العمل جاريا في توسعة وعمارة المسجد الحرام ، ظهر بعض الخلل والتصدع في بناء

الكعبة المشرفة وسقفها وبعض جدرانها . فصدر على اثر ذلك الأمر السامي الكريم بتأليف لجنة من العلماء والخبراء والفنيين للكشف عن مواضع الخلل والتصدع . واقتراح الحلول الناجعة لاصلاحها . وقد كان مما لاحظته هذه اللجنة أن للكعبة سقفين من الخشب يفصل بينهما فراغ مساحته متر واحد وخمسة وثلاثون سنتمترا . وان معظم الأخشاب قد تآكل مع مرور الزمن . كما ظهر في الجدارين الشمالي والغربي من الكعبة تصدع وشقوق . ونتيجة لذلك فقد جرت الاصلاحات التالية :

ازالة السقف الأعلى واشادة سقف جديد بدلا منه .

ازالة السقف الأسفل وتجديده على وضعه السابق .

عمل « ميدة » على الجدار وبين السقفين . ترميم الجدران المتصدعة .

ترميم الكسوة الرخامية التي على الجدار من الداخل وتثبيتها .

وقد اشترط في عمل ترميم الكعبة المشرفة ما يأتي :

أن لا يظهر من « الميدة » التي تقع بين السقفين شيء زائد عن سمك الحيطان حتى لا يزداد في بيت الله ما لم يكن فيه

أن لا يحل سقف الكعبة أو يموه بذهب أو فضة .

أن تكون المواد التي تستخدم في أعمال الترميم من المواد المحلية .

أن تستبدل الأخشاب الثالفة بغيرها من أجود أصناف الخشب الهندي .

هذا وقد بوشر في أعمال ترميم الكعبة المشرفة في صباح يوم الجمعة الموافق ١٨ رجب ١٣٧٧ هـ في احتفال رسمي ترأسه صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز ولي العهد يومذاك .

وفي يوم السبت الموافق ١١ شعبان ١٣٧٧ هـ احتفل بوضع آخر حجر في الكسوة الرخامية التي على جدار الكعبة في حفل كبير دعى اليه الممثلون السياسيون للدول العربية والاسلامية وقد كان ذلك ايدانا بانتهاء مراحل العمل في ترميم الكعبة المشرفة ..

ولما تجدر الإشارة اليه هنا أن جدران العمارة الجديدة قد كسيت بالمرمر والأحجار الصناعية المزخرفة والأعمدة الرخامية والمزاياكو .. والتي جلبت محليا من « وادي فاطمة » . و « مدركة » وغيرهما .

فهرست المجلد الثامن عشر

١٣٩٠

| الصفحة | العدد | الكاتب | الموضوع |
|--------|--------------|---------------------------|---|
| | | | القافلة تسير : |
| ٢ | رجب | رئيس التحرير | الصناعة نواة الحضارة وضرورة العصر |
| | | | مقالات أدبية : |
| ٣ | محرم | محمود أبو ربه | بعض ما أعرفه عن الدكتور طه حسين |
| ١١ | محرم | د . هاشم ياغي | رأي الناقد |
| ١٩ | محرم | خليل إبراهيم الفزيع | القصة في الأدب الحديث |
| ٢ | صفر | محمود الشرفاوي | العرب والبحر |
| ١٣ | صفر | الغزالي حرب | الأمومة في الاسلام |
| ٣١ | صفر | عبد العزيز الرفاعي | ورقة بن نوفل |
| ٢ | ربيع الأول | د . أحمد الشرباصي | ملامح للنهج العلمي في القرآن الكريم |
| ٥ | ربيع الأول | الشيخ عثمان الحقيبل | في أعطاف ذكرى مولد الهدى |
| ١٥ | ربيع الأول | أنور الجندي | التقريب والانتقاد |
| ٣ | ربيع الثاني | عبد الرحمن صدقي | أولى ذكرياتي عن المازني |
| ١١ | ربيع الثاني | فؤاد شاكر | العرب أجادوا وصف كل شيء |
| ٢٣ | ربيع الثاني | وديع فلسطين | حديث مستطرد عن الشعراء |
| ٣ | جمادى الأولى | أحمد الجندي | المدح في الشعر العربي |
| ٣ | جمادى الآخرة | الأمير فديم آل ناصر الدين | اللغة صوان الأمة |
| ١٩ | جمادى الآخرة | حافظ محمود | أدب الصحافة |
| ٣٥ | جمادى الآخرة | فؤاد شاكر | السمت العربي في لامية العرب |
| ٣ | رجب | معالي الشيخ عابد شيخ | التسهيلات التي تقدمها الدولة للمشاريع الصناعية |
| ٥ | رجب | عبد القدوس الانصاري | العرب من آباء الصناعة وروادها |
| ٣٣ | رجب | د . توم شي | المملكة العربية السعودية تحرز تقدما مستمرا في النمو الاقتصادي |
| ٢ | شعبان | علي أدهم | أبعاد التاريخ |
| ٤ | شعبان | د . زكي المحاسني | ثلاثيات في الشعر وفي الوجود |
| ٤٢ | شعبان | عبد الله الماجد | المسرحية في الأدب السعودي |
| ٢ | رمضان | عثمان إبراهيم الحقيبل | رمضان ، شهر الخير والبركات |
| ٣ | رمضان | عبد الكريم الخطيب | من الاعجاز النفسي في القرآن |
| ٥ | رمضان | علي حافظ | الفقه الاسلامي وأثره في القوانين الوضعية |
| ١٧ | رمضان | د . إبراهيم أنيس | صراع التام مع معاني الكلمات |
| ٣ | شوال | د . عبد المنعم خفاجي | عمود الشعر العربي |
| ١١ | شوال | د . أحمد الشرباصي | بطولة الكلمة |
| ٢ | ذو القعدة | د . هاشم ياغي | صورة من بناء الدراسات اللغوية عامة والعربية خاصة |
| ٤ | ذو القعدة | فؤاد شاكر | نجد على ألسنة الشعراء |
| ١٥ | ذو القعدة | د . ماري مسعود | المسرحية أين ومتى نشأت ؟ |
| ٣ | ذو الحجة | عثمان إبراهيم الحقيبل | حججات الرسول الكريم وحجة الوداع |
| ١٩ | ذو الحجة | محمد سعيد العامودي | الحج مؤتمر اسلامي كبير |
| ٢٧ | ذو الحجة | عبد القدوس الانصاري | الحج في الأدب العربي |

| الصفحة | العدد | الكاتب | الموضوع |
|--------------|--------------|---------------------------|---|
| شعر : | | | |
| ٢٢ | محرم | د. زكي المحاسني | العام الجديد للهجرة |
| ٣٢ | محرم | أحمد إبراهيم الغزاوي | الى السبعين |
| ٢٤ | صفر | عدنان مردم بك | عالم الحق |
| ٣٨ | صفر | محمد عبد الخطراوي | لبلاي |
| ١٨ | ربيع الأول | الأمير أمين آل فاضل الدين | اليقظة الشعرية |
| ٤٢ | ربيع الأول | محمد ابراهيم جدع | بسمه الحسن |
| ١٠ | ربيع الثاني | أحمد ابراهيم الغزاوي | النفس المطمئنة |
| ٣٤ | ربيع الثاني | يوسف زاهر | الحمامة الورقاء |
| ١٠ | جمادى الأولى | جليلة رضا | من وحي الأمومة |
| ٢٤ | جمادى الأولى | محمد علي السنوسي | ساعة في الريف |
| ٨ | جمادى الآخرة | أحمد ابراهيم الغزاوي | صنع البدين |
| ٢٢ | جمادى الآخرة | الباس قنصل | لله وهم |
| ١٣ | رجب | د. زكي المحاسني | على هامش الملحمة العربية |
| ٦ | شعبان | الباس قنصل | الأماني كلها تتساوى |
| ٢٤ | شعبان | محمد علي السنوسي | ماء ونار |
| ٨ | رمضان | محمد رضا آل صادق | ايه يا بدر |
| ٤٢ | رمضان | أحمد ابراهيم الغزاوي | تقوى القلوب |
| ١٤ | شوال | الأمير أمين آل ناصر الدين | الى حماة اللغة |
| ٢٤ | شوال | عبد السلام هاشم حافظ | لأنني أنسان |
| ١٠ | ذو القعدة | طاهر زمخشري | من حقبة الذكريات |
| ٣٨ | ذو القعدة | محمد مصطفى الماحي | حنين ووفاء |
| ٥٠ | ذو الحجة | د. زكي المحاسني | ذو الحجة |
| قصص : | | | |
| ٣٣ | محرم | عبد الله حشيمة | عندما يلتقي العرب |
| ٣٩ | صفر | فاضل السباعي | عينان سوداوان |
| ٣٣ | ربيع الأول | جاذبية صدقي | وتسرق الخط الواهي |
| ٤١ | ربيع الثاني | عبد الله حشيمة | حطين |
| ٣٦ | جمادى الأولى | عبد العزيز ضياء | الطفل |
| ٤١ | جمادى الآخرة | عبد الله حشيمة | بريد الخليفة |
| ٣٩ | شعبان | محمود تيمور | طارق الأندلس - الفصل الأول |
| ٣٩ | شوال | محمود تيمور | طارق الأندلس - الفصل الثاني |
| ٣٣ | ذو القعدة | محمود تيمور | طارق الأندلس - الفصل الثالث |
| ٤٣ | ذو الحجة | عبد الله حشيمة | الأعجوبة (من وحي التاريخ الاسلامي) |
| حصار الكتب : | | | |
| ٤١ | محرم | وديع فلسطين | السنانيات ، وأصفار على اليسار ، والأمير مصطفى الشهابي . |
| ٤٣ | صفر | وديع فلسطين | هكذا عرفتهم ، وأدياء حلب ، ودراسات كويتية . |
| ٤٣ | ربيع الأول | وديع فلسطين | معجم المؤلفين العراقيين ، ومن رسائل الرافعي ، |
| ٤٥ | ربيع الثاني | محمد سعيد العامودي | واتجاهات النقد الحديث في سورية . |
| ٣٩ | جمادى الأولى | وديع فلسطين | بين التاريخ والآثار |
| ٤٥ | جمادى الآخرة | وديع فلسطين | عبير من دمشق ، وفي الأدب والحياة . |
| ٤٥ | شعبان | وديع فلسطين | ديوان العيد ، والتراث العربي |
| | | | ديوان الخالدين ، وأشباح المدينة |

| الصفحة | العدد | الكاتب | الموضوع |
|--------|--------------|--------------------------|--|
| ٤٧ | رمضان | عبد العزيز الرفاعي | أربعة أيام مع شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي |
| ٤٣ | شوال | د. فؤاد أفرام البستاني | ذات العماد |
| ٣٩ | ذو القعدة | مصطفى عبد اللطيف السحرتي | خطباء صنعوا التاريخ |
| ٣١ | ربيع الثاني | محمد رفعت المحامي | لقاءات ونلوات : |
| ١٧ | جمادى الآخرة | أبو طالب زيان | توفيق الحكيم (لقاء) |
| ١٩ | رجب | محمد عمر سعيد العامودي | الدكتور زكي نجيب محمود (لقاء) |
| ٣٠ | شوال | محمد وليد فستق | التغلب على مشكلات التصنيع في المملكة العربية السعودية (ندوة) |
| ٤٥ | شوال | د. زهير السباعي | الأستاذ عبد الله بن خميس (لقاء) |
| | | | ارتياذ الفضاء (ندوة) |
| ١٩ | جمادى الأولى | محمد أبو ريه | تاريخ وتراجم |
| ٣١ | شعبان | د. أحمد الشرباصي | الدكتور يعقوب صروف |
| ٣٩ | رمضان | عبد الحافظ كمال | رشيد رضا والأدب |
| ٣١ | ذو القعدة | وديع فلسطين | معركة عين جالوت |
| | | | المنشئ المهجري : نظير زيتون |
| ١٣ | محرم | د. نقولا شاهين | علوم وبحوث |
| ٢٣ | محرم | د. عبد الرحمن عدس | منازل الشمس والقمر على مدار السنة |
| ٣٧ | محرم | وجيه السمان | هل تمشي المناهج التعليمية مع روح العصر ؟ |
| ١٥ | صفر | د. نقولا شاهين | ماذا أفاد العلم والصناعة من غزو الفضاء ؟ |
| ٢١ | صفر | د. يونس شناعة | الأطباق الطائفة |
| ٣٥ | صفر | نسيم مدافقات | الأمراض النفسية |
| ١٩ | ربيع الأول | د. عبد المنعم تلحوق | المبيدات والزراعة اللاحرثية |
| ٢٣ | ربيع الأول | محمد عمر سعيد العامودي | التعايش والتعاون بين المخلوقات |
| ٣٧ | ربيع الأول | د. نقولا شاهين | التقنين بين الشريعة والقانون |
| ٧ | ربيع الثاني | د. أديب سركبس | الكهرباء في أجسام الكائنات ومدى تحكمها في مجرى الحياة |
| ٢٥ | ربيع الثاني | حكمت حسن | الاستفادة من ثروات البحار |
| ٣٥ | ربيع الثاني | د. نقولا شاهين | أصل الزيت وتجمعه |
| ٧ | جمادى الأولى | د. محمود زايد | الكوكب السيار : زحل |
| ٢١ | جمادى الأولى | د. فاخر عاقل | نشوء الحرية الإسلامية |
| ٣١ | جمادى الأولى | محمد عمر سعيد العامودي | التكيف البشري |
| ٥ | جمادى الآخرة | د. فؤاد صروف | التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية |
| ٩ | جمادى الآخرة | د. محمد مظهر سعيد | صورة الكون ومقاييسه |
| ٢٣ | جمادى الآخرة | عبد العزيز رياض | التفكير السليم |
| ٣٧ | جمادى الآخرة | د. عبد المنعم تلحوق | من طرائف العلم |
| ١٣ | شعبان | د. نقولا شاهين | الحواس وظواهرها عند مختلف الكائنات |
| ٢١ | شعبان | حسن فتح الباب | البوارات الطبيعية والصناعية ودورها في الابتكارات الحديثة |
| ٤٧ | شعبان | نسيم مدافقات | بصمات الأصابع ودورها في البحث الجنائي |
| ٩ | رمضان | د. فؤاد صروف | تطبيق العلوم الإنسانية في المجالات الصناعية |
| ٢٣ | رمضان | د. رؤوف سلامة موسى | الحياة والانسان بين الذرة والمجرة |
| ٣٧ | رمضان | د. زكريا ابراهيم | سر الصناعة |
| ٥ | شوال | د. نقولا زيادة | الخوف ، علو الانسان الأكبر |
| ١٥ | شوال | د. راشد البراوي | مصادر المعرفة الجغرافية عند العرب |
| ٧ | ذو القعدة | د. يونس شناعة | مصادر جديدة للغذاء |
| | | | الغدة النرقية وأمراضها |

| الصفحة | العدد | الكاتب | الموضوع |
|--------|--------------|------------------------|--|
| ١١ | ذو القعدة | د . نقولا شاهين | الزجاج يتنافس الفولاذ في الخرسانة المسلحة |
| ٢٣ | ذو القعدة | عيسى مسلم | اختبار الادراك اللاحي |
| | | | استطلاعات : |
| ٥ | محرم | حكمت حسن | الأطباء العرب الأقدمون والمحدثون |
| ٢٥ | محرم | حكمت حسن | الى الربيع الخالي |
| ٤٣ | محرم | حكمت حسن | أساليب البناء القديم في المملكة العربية السعودية |
| ٥ | صفر | ابراهيم علي العياشي | نافذة على الماضي |
| ٢٥ | صفر | حكمت حسن | أرامكو وصناعة غاز البترول السائل |
| ٤٥ | صفر | نسيم مدانات | محطة تلفزيون الدمام |
| ٧ | ربيع الأول | عوني أبو كشك | أرامكو - ١٩٦٩ |
| ٢٥ | ربيع الأول | نجاتي صدقي | لبنان : بلد المغاور العجيبة |
| ٤٥ | ربيع الأول | حكمت حسن | صناعة الأسمدة : من الصناعات الرائدة في المملكة |
| ١٣ | ربيع الثاني | عصام العماد | أبها : حاضرة منطقة عسير |
| ٤٨ | ربيع الثاني | عيسى مسلم | صناعة الزيت على طوابع البريد |
| ١١ | جمادى الأولى | حكمت حسن | المتاحف في جامعة الرياض |
| ٢٥ | جمادى الأولى | سليمان نصر الله | صيانة آبار الزيت والماء |
| ٤١ | جمادى الأولى | حكمت حسن | الأصداف البحرية والودع |
| ١١ | جمادى الآخرة | سليمان نصر الله | التلريب : طريق التقدم |
| ٢٥ | جمادى الآخرة | نسيم مدانات | الخبر : ثغر الخليج العربي الضاحك |
| ٤٧ | جمادى الآخرة | عيسى مسلم | المسابح عبر التاريخ |
| ٩ | رجب | سليمان نصر الله | المعارض : مرآة تعكس رقي الأمم |
| ١٥ | رجب | نسيم مدانات | التعليم المهني دعامة في صرح التقدم الصناعي |
| ٢٣ | رجب | سليمان نصر الله | صناعة الزيت .. ركيزة هامة في نمو اقتصاد المملكة العربية السعودية |
| ٣٧ | رجب | نسيم مدانات | النماء الصناعي في المملكة العربية السعودية |
| ٧ | شعبان | سليمان نصر الله | الملاحة البحرية والجوية |
| ٢٥ | شعبان | فتحي أحمد يحيي | أضواء على جيولوجية الكرة الأرضية |
| ٣٣ | شعبان | محمد عبد الله عنان | طلبلة : طابعها وآثارها الأندلسية |
| ١٣ | رمضان | عبد الله حشيمة | الأثر العربي في أمريكا الجنوبية |
| ١٩ | رمضان | نسيم مدانات | لقاح للوقاية من مرض « التراخوما » |
| ٢٥ | رمضان | سليمان نصر الله | الوجه .. الحسن |
| ٤٣ | رمضان | ناجي محفوظ | منارات القرون |
| ٤٩ | رمضان | عيسى مسلم | خط أنابيب القطيف - بقيق رقم ١ |
| ١٩ | شوال | محمد عبد الله عنان | قصر جنة العريف |
| ٢٥ | شوال | سليمان نصر الله | الزيت في خدمة الانسان |
| ٣٣ | شوال | نسيم مدانات | العرب والفروسية |
| ١٧ | ذو القعدة | نجاتي صدقي | مجدل عنجر |
| ٢٥ | ذو القعدة | سليمان نصر الله | الغاز الطبيعي ووسائل الانتفاع به |
| ٤٣ | ذو القعدة | نسيم مدانات | حيوانات في صحاري المملكة العربية السعودية |
| ٥ | ذو الحجة | علي الطنطاوي | الحج .. مناسكه وأحكامه |
| ١١ | ذو الحجة | رئيس التحرير | في رحاب البيت العتيق |
| ٢١ | ذو الحجة | عبد السلام الساسي | توسعة وعمارة الحرمين الشريفين في العهد السعودي |
| ٣١ | ذو الحجة | جاذية صدقي | موكب النور |
| ٣٧ | ذو الحجة | د . عبد الكريم جرمانوس | ذكريات عن الحج |
| ٤٧ | ذو الحجة | عوني أبو كشك | كسوة الكعبة المشرفة |



أحد أبواب المسجد الحرام وقد رصفت وجهته بالحرم .



المدائن العتيقة كانت من ضمن مراحل مشروع التوسعة السعودية للمسجد الحرام .

المسعى من ناحية دار الأرقم ويمر من تحت المسجد ثم ميدان الملك عبد العزيز ثم إلى حي المسفلة . وقد بلغ طول هذا النفق المذكور اثني عشر كيلومتراً وعرضه أربعة أمتار . وارتفاعه بين أربعة وستة أمتار . كما أنشئ نفق آخر للسيل تحت مبنى المسجد أيضاً يبدأ من باب السلام ويلتقي بالنفق الرئيسي عند ميدان باب الملك .

وتجري الآن دراسة جديدة لإنشاء نفق آخر يتصل بالنفق الرئيسي من ميدان باب الملك . ويمر من شارع المسيل إلى حي المسفلة يبلغ ضوله نحو خمسة كيلومترات . وعرضه أربعة أمتار . وارتفاعه أربعة أمتار أيضاً ■

من السيارات . ولقد روعي في هذه الميادين أن تكون آمنة للحجاج أثناء خروجهم من الصلاة والحدائق . وقد حفرنا لذلك أنفاق تحت الأرض تسمح بمرور الحجاج في أمان دون أن يتعرضوا لحركة المرور وزحام السيارات . وقد بلغ عدد هذه الأنفاق ستة . كما ينبت دورات مياه (مبضات) بعضها تحت سطح الأرض والبعض فوقه وذلك لتأدية فرائض الوضوء .

ولما كانت السيول والأمطار تدهم المسجد . وخاصة من ناحية وادي إبراهيم والقشاشية . فقد خفض مسوب شارع القشاشية . وأنشئ لذلك نفق كبير لمرور السيل يبدأ من تحت

ولقد تقرر إبقاء مبنى الحرم القديم كأثر من الآثار القديمة . وقد تم التنسيق بين المبنى القديم والمبنى الجديد من جميع الجهات ... وعلى اعتبار التوسعة والعمارة الجديدة للمسجد الحرام وازدياد عدد الحجاج الوافدين من مختلف البلاد الإسلامية بسياراتهم ووسائل انتقالهم . فقد أنشئ حول المسجد الحرام خمسة ميادين فسيحة لاستيعاب سيارات الحجاج إلى حين انتهائهم من تأدية مناسكهم . وهذه الميادين هي : ميدان الملك عبد العزيز . وميدان إبراهيم ، وميدان باب العمرة . وميدان القشاشية . وميدان القنطرة . وتدرس الحكومة الرشيدة الآن إنشاء ميادين أخرى حول المسجد الحرام لاستيعاب العدد الضخم

الحج في الأدب العربي

بقلم الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري

النسب من روائع الغزل الوصفي قوله في حساء «بلي» التي تغزل بها في مقدمة قصيدته :

غراء أكمل من يمشي على قدم
حسنا وأملح من حاورته الكلاما

وقد أبدى للبلوية الحساء أنهم الآن ليسوا بحالة
هو وغزل ، فالدين يحرم هذا اللهو عليهم ،
لأنهم حجاج بيت الله الحرام ، وهم الآن في
عبادة وطاعة ، مشمرين ، وممتطين نوقا غارت
عيونها من طول السير والسرى ، وهم في حجتهم
هذا انما يرجون ثوبة الاله ، ويرجون به وغيشه
الذي يشمر لهم طعامهم . وبالناسبة فقد مضى
مع طبيعة الحديث ذي الشجون فحدثها عن كثرة
أسفاره في البراري ، وكرمه في أوقات الشتاء
الشديد البرد والجوع على الناس . ولما أكمل حديثه
الجاد الهادف معها عاد الى حديث الحج ووصف
مشاهداته في طريقه الى الحج . فهذه « فتاة »

ومقالنا هذا مقصور على عرض نماذج مقتطفة
مما ورد في الحج من أدب الشعر ، في الجاهلية
وفي الاسلام ، في فجره وصبحه وفي ضحاه
وقبلولته وظهره ، وفي عصرنا الحاضر — مع
تعليقات خفيفة على ما يستحسن التعليق عليه .
ويبدو لي أن من أكثر شعراء الجاهلية عناية
بالحج : « زياد بن معاوية الذبياني » الملقب
بالنابغة الذبياني . فقد أعطانا وصفا متكاملا أو
شبه متكامل للحجة التي قام بها على ناقته هو
ونفر من قومه ، قاموا برواحلهم معه من بادية
شمال المدينة ، صوب مكة . بجنوبها .. وهي
مسافة طويلة كانت أعناق الابل تنقطع
فيها . فقد قال : « لمن رذايا بالطريق
ودائع » .
وقد بدأ النابغة قصيدته بالنسب المعتاد .
وقد صاغه صياغة جميلة . ومما ورد في هذا

الحج — في الجاهلية والاسلام —
عبادة تشتمل على تراتيب مقررة .
وحركات متتالية ، ودعوات وابتهاالات معينة وغير
معينة ، عند شعائر معروفة بمكة ومنى ومزدلفة
وعرفة . ولا بد فيها من اجتماع أفراد وجماعات
في أيام وليال . وفي زيارات واسمار — وتبادل
منافع وتعاطي تجارة وبيع وشراء . فمن الطبيعي
أن يكون للأدب بنوعيه : الشعر والنثر دخل في
تسجيل العواطف والمعتقدات والابتهاالات والخيالات
وما يعجب من المشاهد أية كانت .
وموضوع « الأدب في الحج » موضوع واسع ،
لا تكفيه المقالة ولا المقالتان ، بل ينبغي أن يفرد
له كتاب ضخمة حافل . ونحن هنا سنعرض
قطرات من بحر زاخر ، وخرات من عالم أدبي
كبير .. على قاعدة .. « ما لا يدرك كله
لا يترك كله » .

من بنات حرم مكة تعترض طريق ركبهم طالبة منهم أن يبتاعوا منها جلودا لها لا بد أنها أصلحتها وديعتها لتبيعها في موسم الحج على العرب الوافدين من كل جانب ، وقد كان جوابه لها مماثلا لجوابه لفتاة بليّ الحسنة : قال لها : ان حبل البيع الآن مقطوع لأننا حجاج ، والحاج ليس من شأنه أن يشتغل بالبيع ، مهمته أن ينصرف بكيته الى الحج ، على ما كان من تقاليدهم . في الجاهلية .. قال :

كادت تساقطني رحلي ومبرتي
بذي المجاز ولم تحس به نعمنا
من قول حرمية قالت - وقد ظعنوا :
هل في مخفيكم من يشتري أدما ؟
قلت لها - وهي تسعى تحت لبثها :

لا تحطمنك ان البيع قد زرما
وفي قصيدتين سياسيتين اعتذاريتين قدمهما للنعمان بن المنذر ملك الحيرة نراه يعاود الامام بشؤون الحج ، واحدى القصيدتين (عينية) .. وقد سلط فيها على اعتذاره أضواء كاشفة لعمق صدقه في عذره وعمق اخلاصه للنعمان - وكان قوم من عدااته قد وشوا به للنعمان . وأبلغوه عنه كلاما غير لائق .. وتأكيذا لكذب هؤلاء الوشاة وتوطيدا لدعائم صدقه في تكذيبهم . نراه يحلف للنعمان - على دأب العرب الجاهليين - بالنوق المتصاحبات في قوافل . ماضية متجهة في سيرها المتدافع صوب آل . وألال هو : جبل عرفة - الذي يدعوه بعض الناس اليوم جبل الرحمة .

حلف له بتلك النوق المتدافعات فسي سيرهن ، السريعات التي تبارى الريح في سرعتها ، حالة كون عيونها غائرة من طول السير والسرى ، وعليها حجاج شعث غير قاصدون لحجهم في خشوع وتبتل . فهن تحتهم مثل أطراف القسي في انحنائها وخضوعها - حلف له بذلك المشهد أنه مظلوم مجني عليه في هذه الأقوال الزائفة . وحالته بالنسبة لزوجيها الآمنين مثل حالة الجمل المصاب بداء العر ، يكوى غيره من الجمال السليمة . ويترك هو راتعا في المرعى الخصب بدون أن يتعرض للكي كما تعرض له غيره ، مع أنه هو المصاب الذي يستحق الكي وغيره سليم لا يستحق هذا العذاب بالنار قال :

حلفت فلم أترك لنفك ريبة
وهل يأتين ذو أمة وهو طائع ؟!
بمصطحات من لصاص وثيرة
يزرن ألا سيرهن التدافع
ساما تبارى الريح خوفا عيونها
هن رذايا بالطريق ودائع
عليهن شعث عامدون لحجهم
فهن كأطراف الحني خواضع

لكلفتني ذنب امرئ وتركته
كذي العر يكوى غيره وهو راتع
وفي « معلقته » الدالية التي قدمها اعتذارا للنعمان في بعض ما بلغه عنه نراه هنا يؤكده لمخاطبه صحة اعتذاره يمين يقسمها بالخالق

الذي أمن الطيور اللاجئات الى مكة - من الصيد . فهن حوائم آمنة على نفسها فيما بين أجمة الغيل والسعد الواقعة بين مكة ومنى يومئذ .. يقول :

والمؤمن العائذات الطير تمسحها
ركبان مكة بين الغيل والسعد

ما قلت من سيء مما رمت به
اذن فلا رفعت سوطي الي يدي
وفي « فجر » الاسلام ، نرى حسان بن ثابت الانصاري ، شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم ، يذكر الحج في شعره ويقول من قصيدة أو مقطوعة في ديوانه :

أنا وما حج الحجاج له : ركبنا مكة معشر الأنصار
وقد قال حسان هذه المقطوعة في الدفاع عن خليفة رسول الله الأول ، قاهر أهل الردة . ومثبت دعائم الاسلام بعد النبي ، صلى الله عليه وسلم : أبي بكر الصديق .. صاحب رسول الله في الغار وفي هجرته من مكة الى المدينة . وذلك ازاء الحملات العنيفة التي كان يشنها عليه مرتدو العرب الذين لم يرض منهم الا أن يعودوا الى حظيرة الاسلام وأن يؤدوا ما عليهم من حقوق لله جل وعز .. اداء شاملا كاملا .

ولف ذكر الحج في الأدب العربي . فان القارئ يتطلع الى عمر بن ابي ربيعة الشاعر القرشي الغزل نزيل مكة في صبح الاسلام .. ففي شعره الشيء الكثير عن الحج ومن ذلك قوله :

لكنهم زادنا وجدا بهم كلف
ومتزع من رجيع الدمع مبتدر
وأنها حلفت بالله جاهدة
وما أهل له الحجاج واعتمروا
ما وافق النفس من شيء تسر به
وأعجب العين إلا فوقه عمر
فذاك أنزلها عندي بمنزلة
ما كان يحتلها من قبلها بشر
و « هذه » هي إحدى الحاجات رأها عمر بجنب
الخيف وبالمحصب من منى . فهم وجدا بجمالها
الفتان .. فقال :
رأيت بجنب الخيف هذا فراقنـ
ي لها جيد ريم زيتته الصرائم
وذو أشر عذب ، كأن نباته
جنى أقحوان نبتة متناعم
نظرت إليها بالمحصب من منى
ولي نظر لولا التخرج عارم
فقلت أشمس أم مصابيح بيعة
بدت لك تحت السجف أم أنت حالم ؟
مهفهفة غراء ، صفر وشاحها
وفي المرط منها أهيل متراكم
بعيدة مهوى القوط اما لتوفل
أبوها ، وأما عبد شمس وهاشم
ونرى عمر بن أبي ربيعة هنا تشده الى غض
النظر فضيلة الدين الاسلامي . فنظره الى هند
اذ ذاك كان عارما لولا التخرج الذي لحق به حينئذ ..
« وام الهيثم » أو « عثيم » قدم فيها
قصيدة من غرر شعره في أيام الحج ، وربما

كانت قصته معها خيالية . وربما كانت
حقيقية . يقول
لا والذي بعث النبي محمدا
بالنور والاسلام دين القيم
وبما أهل به الحجيج وكبروا
عند المقام وركن بيت المحرم
والمسجد الأقصى المبارك حوله
والطور - حلقة صادق لم يائـم
ما خنت عهدك يا « عثيم » ولا هفا
قلبي الى وصل لغيرك فاعلمي
وكان قد كناها من قبل . في مطلع القصيدة
بأم الهيثم :
باسم الاله تحية لمـيم
تهدى الى حن القوام مكرم
وصحيفة ضمنتها بأمانة
عند الرجل اليك ، « أم الهيثم » ؟
وفي احداهن التي صن علينا باسمها
يقول :
أشارت اليـنا بالبنان تحية
فرد عليها مثل ذاك بنان
فقلت - واهل الخيف قد حان منهم
خفوف (١) ، وما يدي المقال لسان :
نوى غربة قد كنت أيقنت أنها
وجدك ، فيها عن نواك شيطان (٢)
تعال فزرنـا زورة قبل بيننا
فقد غاب عنا من نخاف جبان
فقلت لها : خير اللقاء ببلدة
من الأرض لا يخشى بها الحدثنان

كان عمر بن أبي ربيعة شاعرا
مكيا غزلا . فكذلك كان عبد الله
ابن عمرو بن عثمان بن عفان المعروف بلقب
« العرجي » وهو حفيد الخليفة عثمان بن عفان
رضي الله عنه . أو ابن حفيده على رواية أخرى .
وقد كان الشاعران الغزلان يعيشان في قرن واحد ،
هو القرن الهجري الثاني : « ضحى الاسلام » .
وقال الناقدون في التمييز بينهما : ان عمر عفـ ،
وأما العرجي فماجـ .. وشعرهما معا من نوع
غزل « الحب اللاهي » كما يقول واضعا مقدمة
ديوان العرجي : خضر الطائي ورشيد العبيدي .
روي أن ابن ميزن المغني ، مر بحلقة كان
ابن جريج يحدث فيها ، وعنده جماعة من
أهل العراق فيهم الرجل الصالح عبد الله بن المبارك ،
فدعاه ابن جريج ، وطلب أن يسمعه شيئا من
الغناء فقال له : اختر ثلاثة أصوات لا أزيدك
عليها . فقال : أريد الصوت الذي غناه ابن
سريج ، على جمرة العقبة ثاني أيام منى ، فقطع
الطريق حتى تكسرت المحامل . فغناه قول العرجي :
عوجي عليّ فسلمي جبر
فيم الصدود وأنتم السفر ؟ ؟
ما نلتقي إلا ثلاث منى
حتى يفرق بيننا النفر
الحول بعد الشهر يتبعه
ما الدهر إلا الحول والشهر
فاستعاده ابن جريج ، استحسانا . فقال :
عليّ أن يكون من الثلاثة ؟ فقال : نعم ! فأعاده ،
ثم استعاده ثالثة على ذلك الشرط فأعاده ..

(١) شاعرون في الارتحال بعد انتهائهم من النسك (٢) بمعنى : بعد ، من شطن : بمعنى بعد .



هكذا وما تجدر ملاحظته هنا أنه قد وردت في ديوان عمر بن أبي ربيعة (٣) ثلاثة الأبيات الأولى من القصيدة التي مطلعها :
عوجي عليّ وسلمي جبر
فيم الصدود وأنتم سفر ؟ !
كما وردت الأبيات ذاتها في مستهل قصيدة من اثنين وعشرين بيتاً - في ديوان العرجي . (٤)
والعرجي قصيدة مطولة (جيمية القافية) مطلعها :
عوجي علينا ربة الهودج
انك ان لا تفعلي تحرجي
أيسر ما قال محب لدى
بين حبيب قوله : عرج
والعرجي أبيات يعرض فيها « شريط » ذكرياته في أيام الحج فيقول :
ان امراء تعتاده ذكر
منها ثلاث منى ، لنو صبر
ومواقف بالمشعرين ، لها
ومناظر الجمرات والنحر
وافاضة الركبان خلفهم
مثل الغمام اردّ بالقطر
حتى استلمن الركن في أنف
من ليلهن يطآن في الأزرق
يقعدن في التطواف آونة
ويظفن أحياناً على فتر
ففرغن من سع وقد جهدت
أحشاؤهن موائيل الخمر
وللشريف الرضي (٣٥٩-٤٠٦هـ) (٩٦٩-١٠١٥م)
قصيدة رائعة في الحج قالها بمناسبة دخول الحجيج إلى

مدينة السلام في صفر ٣٩٥هـ بعد ما قضاوا نسكهم :
عارضا بي ركب الحجاز أسائل
هـ : متى عهده بسان سلع
واستملا حديث من سكن الخيف
ولا تكتباه الا بدمعي
فاتني أن أرى الديار بطرفي
فلعلي أرى الديار بسمعي
ولأبي نواس في الحج قصيدة مشهورة ، ضمنها التلبية والدعاء ، وتقديس ذي الجلال . ومطلعها :
اهنا ما أعدلك مليك كل من ملك
اليك قد لييت لك
ليك ان الحمد لك والملك لا شريك لك
ما خاب عبد سألك أنت له حيث سلك
لولاك يا رب هلك
وتعتبر هذه القصيدة من غرائب أبي نواس ..
الشاعر الماجن .. ويلوح من نظمه لها أنه قالها وقد شاب .. فلعله تاب وأناب . وسلك طريق الصواب .. والله غفور رحيم ..
ولأحمد شوقي « تالية » أبدع فيها وأمتع .. ومطلعها :
الى عرفات الله يا خير زائر
عليك سلام الله في عرفات
ويوم تولي وجهه البيت ناضرا
وسيم مجال البشر والقسمات
على كل أفق في الحجاز ملائك
تزف تحايا الله والبركات
وللشاعر المكي السعودي حسين عرب .
معارضة جميلة لقصيدة أبي نواس ... وهي أطول نفسا قال :

وهكذا الى أن يقول :
ليك : يارب الحجيج جموع
هـ وفدت عليك
ترجو المثابة في حماك
وتنبغي الزلفى لديك
لبيك والآمال والأفضال
من نعمى يديك
لبى لك العبد المطيع
مع وجاء مبتهلا اليك
هـ هـ هـ
هذي الجموع تدفقت
منها المسالك والبطاح
قطعوا لك الدماء
والغبراء واجتازوا الرياح
متضرعين اليك ،
مستهدين يرجون السماح
لبيك في الليل البهيم
وفي الغدو وفي الرواح
هـ هـ هـ
هذا الصباح يضح بالتهليل ، يتبعه الدعاء
هذا المساء يعج بالتكبير ، يبعثه الرجاء
في الأرض ، تلبية تفيض بها القلوب الى السماء
لبيك ، في حر الهجير وفي الصباح ، وفي المساء
وهكذا الى ان يقول :
سبحانك اللهم يا حامي حمى البيت الأمين
يا مسبل الرحمات ، تغسل ، من خطايا المذنبين
اياك نعبد مخلصين ، وما بغيرك نستعين
لبيك ، سبحنا بحمدك ، فاهدنا نهج اليقين

(٣) طبع مطبعة السعادة بمصر ، وتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ص ١٥٩ (٤) ص ٤٢ - ٤٣ طبعة الشركة الاسلامية للطباعة والنشر المحدودة ببغداد وتحقيق خضر الطائي ورشد العبيدي .

هوجب النور

بقلم السيدة جازية صرقي



نظر إلى راقع السعد اعزام والكعبة المشرفة يتجوز الحجاج في رحاب البيت النبوي



بعض الحجاج بملابس الاحرام لدى وصولهم الى مطار جدة .



الحجاج في عرفة .. يرجون الرحمة والمغفرة والرضوان .

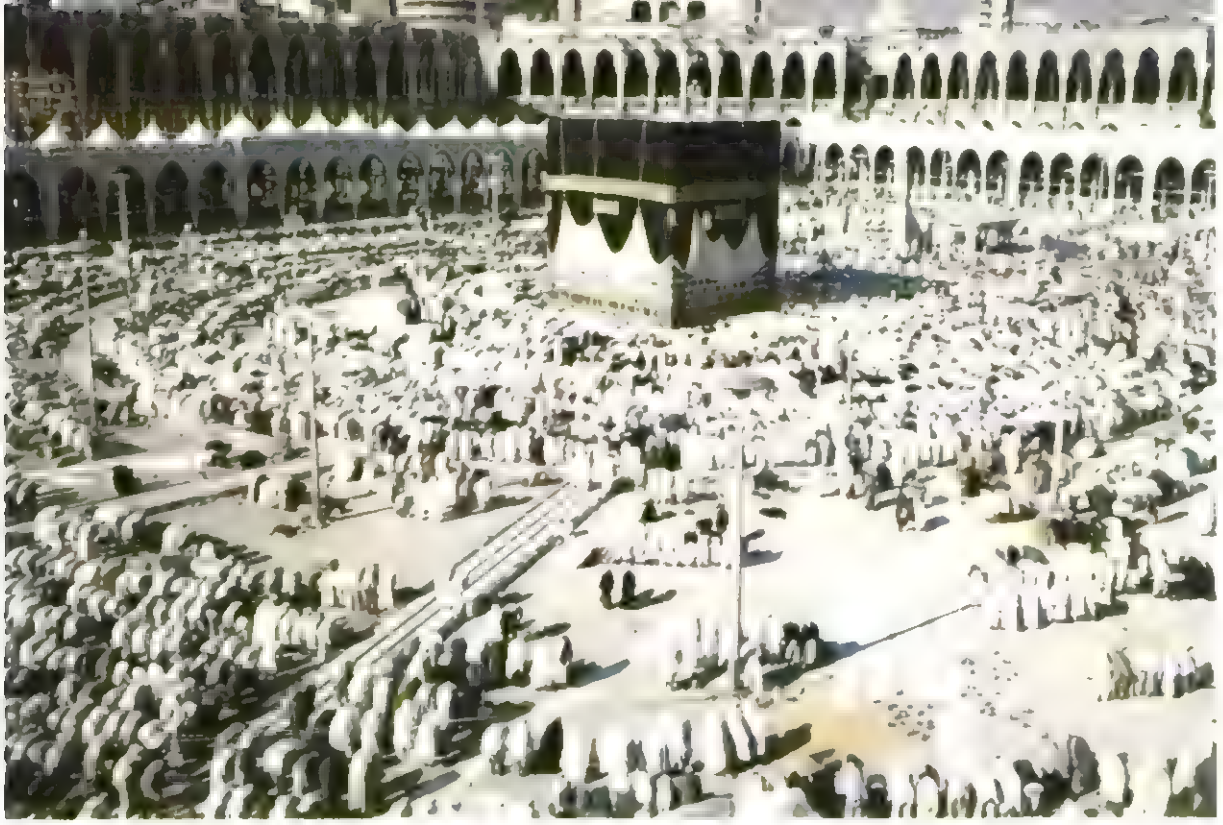
الله! كلمة صغيرة ، هي مغزى الوجود .
كلمة عظيمة جليلة تثير الوجدان ،
وتهز الأعماق ، وترجف القلب والنفس ، والروح !
« ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين » لا بد للإنسان من قدسية
في هذه الحياة تلوذ بها روحه عندما تعتصرها مادية
دنياهنا ، وترف حوله روحه كالفراشة ، تستروح
من أنسامها الطاهرة العذبة وتستجلب لنفسها بردا
وسلاما وأمانا . فلولا روحانية تملأ قلب المرء منا .
ومشبع بها الوجدان ، ومروية بها الحنايا .
لעصفت بنا العواصف عصفا عسيرا ولتقاذفتنا
رياح الأهواء ، قبل أن تذرونا هباء منثورا .
وأعظم قدسية روحانية هي : الدين .. الدين
بكل ما يمت اليه بصلة من قريب ومن بعيد !
اننا لا نرى الله جهرة ببصرنا ، لكننا نراه
ببصيرتنا في كل شيء حولنا ، من صنع يديه !
أو من تعليمه ، أو من إيحائه ، سبحانه !
وابن آدم يعتز ويثني :

« هذا من صنع يدي .. أنا ! »

وما ابن آدم نفسه - في حقيقته .. سوى
آية من آيات فن الصانع الأول . آلة تتحرك
وتنتج وتبتكر وتبدع بقدر ما أذن ، وبقدر ما
أنعم المنتج المبدع البديع ، سبحانه !
اننا لا نرى الله ، لكننا نستشعره في أعماق
قلوبنا عندما تصفو ، وفي حنايا ضمائرنا عندما
تصحو ، وفي ثنايا وجداننا عندما يجلو !
نستشعره ونلمسه ، وتتشبع به أرواحنا .. ويشرب
نحوه إيماننا .

اننا نعرفه سبحانه ، ونشعر به ، ونوقن به ،
ونؤمن بالقلب وبالعقل وبالمنطق ونحن نرى
الحياة في حفنة ماء يفرغ بها جدول صغير أو
عين عذبة متواضعة قد تمر بها ولا تلحظها !
وعندما يتفجر باطن الأرض عن كنوزها
ويكشف عن خباياها : قوة ونعمة أخرى في
يد ابن آدم ليسطر بها على الطبيعة حوله ويسود !
وعندما يزلزلك زئير نمر رهيب ويرعبك
جبروته ، وفي الوقت عينه تنحني في تبتل لتمسح
على فراء حمل وليد هو الصفاء مجسما . له ثغاء
رقيق يهز أعماق قلبك ! وكلا التقيضين من
بدع الفنان الأعظم !

رب العالمين .. آية آيات حبه لنا مثابته
سبحانه على حثنا وتذكيرنا وتطهيرنا لتجلو منا
القلوب فتتضوأ أنصع من الفضة بلا ضغينة ،
ولا غضب ، ولا حسد . ولا حقد ! يذكركنا
ولا يني يذكركنا حتى لا يؤاخذنا سبحانه بما



! سرهم ركد سجد! يبعون فضلا من الله ورضوانه .

رأس هؤلاء العاملين ، تجد
« الإنسان » المسلم بحق وحقيق
« الفصل » ! يسهر ويسأل ويخوض حنو
الوالد على المكرمين المعززين في هذه البقعة ..
حجاج بيت الله الحرام .
والله ما شعرت بسعادة كالسعادة التي أسبغها
سبحانه وتعالى علينا جميعا - نحن حجاج بيت
الله ! ولكل سعادة سبب . ولكن سعادتنا نحن
كانت لها أسباب لا تعد ولا تحصى . منها :
الشعور السائد الدائم المتشعب في قلوبنا بأننا
كلنا موضع رعاية . وحذب . وتكريم ! وأروع
ما كان يميز موسم الحج في عامنا ذلك هو عدم
الفرقة بين حشود الحجاج ! فالمعاملة الحانية
العطوف كانت حقا مشروعا للجميع . لقد رأيت
عشرات من رجال الدوائر والمصالح الحكومية
يندسون بين الجموع فوق جبل عرفات ، والقبض
على أشده . وقد أمسكت الدنيا أنفاسها .
وسكن الهواء ، وأنتهم يحملون علبا ضخمة من
عصير فاكهة محفوظا ومثلجا ، راحوا يفرغون
منه في أكواب مدت بها أيدي الحجاج اليهم !
وهنا تتجلى الإنسانية التي هزنتي ووجدت طريقها
الى قلبي مباشرة ! لم يقص علي أحد هذا
الحدث ! بنفسه عشت التجربة . فلقد نهضت
وانضمت الى الجموع التي تمد أيديها بأكواب .
ومددت يدي أنا أيضا بكوب ! ونلت نصيبي
متزعا من رحيق رطب عذب مع كلمة تحية

وتلك الليلة الأولى لي في الأراضي المقدسة .
أمضيت الليل طوله في الحرم . أصلي
في ركن من أركان الكعبة الشريفة حتى شق
الفجر السماء . فصلينا جماعة . وكنت اذا
نعت افترشت الأرض على الرخام النظيف .
وجلست أقرب من حولي في إيمانهم .. فسي
لهفتهم .. في اشتياقهم يشربون نحو خالق الكون !
ثم بدأت شعائر الحج !
عمري في دنياي هذه لم يبهرنى شيء قدر
ما بهرنى موسم الحج هذا ! .
أولئك الناس الذين أشرفوا على تنسيقه .
واعداه ، وتخطيطه ، هم حقا « صنف »
يقوى على حمل مسئولية العمل ، ثم على انجاز
ذلك العمل بلا ضجة ، ولا دعاية .
« لون » من الناس هم يعمل في صمت ،
في ثبات . في مثابرة !
مسكينة والله أسر هؤلاء الرجال « الرجال » ،
وكلمة « الرجال » الثانية أستخدمها هنا :
صفة !
الأهات الكريمت . والزوجات الفضليات ،
ثم الأبناء الذين هم فلذات الأكباد ولهم منزلة
غالية في قلوب هؤلاء الآباء الذين يعملون حتى
خلال العيد بلا كلل ولا ملل . لكن قاوب
هؤلاء الآباء العاملين في صمت وفي تضحية ،
تعتز بالعمل وبواجب وبالتضحية من أجل حجاج
البيت العتيق أكثر من اعتزازها بالأبناء !

اكتسبت نفوسنا وبما انطوت عليه الضلوع !
لا يني يدكرنا بالفرائض وبأركان دينه الخفيف
الشامخة كالأعمدة العتيقة الراسخة !
وقد أكرمني ربي بالحج في العام الماضي .
الحج عنه تجربة كبرى ! تجربة
روحانية نورانية شفاقة ! فيها عذوبة .
وفيها عمق .. فيها خوف وفيها أمن .. فيها رهبة
وفيها ألفة عجيبة ، كأنك آت من غربة بعيدة
بعيدة طال أمدها . الى حيث سكنك . وسكن
قلبك ، وسكن نفسك وروحك !
تجربة فريدة في لونها ، ومذاقها . ووقعها !
تثير في القلب العواطف الرقيقة .
وتندب في داخل القلب أثرها حياة جديدة
من لون آخر ! حياة ناصعة تنضوا سماؤها
وردية . ويطوف بأجوائها هديل يمام ، وغرغرة
جداول ، وحفيف أوراق شجر غير مريئة تداعبها
أنسام عذبة تسيل رقة ! وكلها كلها من نسيج الصفاء
والإيمان والهدوء الذي يطوي الروح ويهددها !
وأنا من فرط زلزلة هويت على ركبتي على
عتبة بيت الله ! وهوى حولي الناس جميعهم .
راكعين وساجدين . وشق التهليل أعماق الصدور ،
وبحت الخلق بالتكبير !
ولكنني لم أرفع صوتي عن الهمس . قلت له .
سبحانه :
- « ها أنا ذى يا ربي » !
وخفقتني عبراتي .



١ - الأطفال بملابس الاحرام يدعون الله ويبتفون رضوانه .

٢ - منظر للمسجد النبوي في المدينة المنورة ، وقد ازدحمت جوانبه بالمصلين الذين لم يجدوا مكانا لهم في الداخل ..

٣ - الحجاج يرمون الجمرة الصغرى في منى .



ضحية . وأدبرت نظري نحو السماء . ربتنا نحمدك
حمدا كثيرا ضيحا مباركا فيه . فقبل منا انتك
أنت السميع العليم .

ولقد تميز موسم الحج أيضا باناء النبي
لوفير . بساب متدفقا . في تناول الجميع .
من صابير تحتها أحواض أقامتها الحكومة على
طول الطريق من مكة - عرفات كان في تناول
الحجاج . كل الوقت ! في شتى الطرق التي
سلكها الحجاج .

شيء آخر دهشت أنا نفسي منه فلقد كان
الحجاج المسافرون . ليلا أو نهارا . يحدون
حاحتهم من الأضمة الحفينة كالفاكهة المحفوظة
وعلب الجبن المحفوظ ولقائف الحلوى المختلفة
وعسب . البسكوت . تباع في محطات البترين
المشيرة على حواف الطرق ! وتلك فكرة عملية
استفقت من صميم الحاجة إليها !!

ثم الطرق عنها التي يقطع منها الحجاج
مئات الأميال في قيامهم بشعائر الحج . فبرغم
الأمطار العزيرة التي انهمرت قبل موسم الحج
لفترة وجيزة وانحدرت من قمم الجبال والتلال
في سيل جارفة أفسدت الطرق . واقتلعت طبقة
الأسفلت التي تغطيها وأغرقتها . وأحدثت
بها فحوات وتنوعات برغم ذلك العائق الذي
لا يستهان به . سرنا نحن الحجاج في رواحنا
ومجبتنا على طرق خيل لبنا أنها لم تمتد إليها
يد الخراب أبدا .

الحر والقيظ والاحهاد فقد أوجدت
السعودية له حلا حكيما . فشيدت
على حواف الطرق ظلالا شاسعة مسقوفة .
لا جدران عالية لها ولا أبواب عمدة فارعة
فحسب تحمل السقف الطليل النسيج . ثم رصت
تحت أبراك خشبية عديدة ونظيفة . ينام عليها
الحجاج أو يجلسون ليستريحوا . أو ليحفظوا
عندها الرجال بعض الوقت . طال أو قصر .
هم . أي الحجاج . دائما على الرحب واسعة في
كل مكان . في كل وقت وزمان ! كانت تلك
الظلل الجماعية العامة تتلألأ بأنوارها في الليل
البهيم على البعد كأنها ابتسامة كبيرة وضوء
تشرق في وجه الظلمة . وتشتع الأنس والألفة .
وتبعث الأمل والتفاؤل في قلوب الحجاج المجتهدين
المتكئين في السيارات . وقد قطعوا بها أميالا
وأميالا في سمر ضويل متصل وشاق !

ولصورة التي قد انصفت بذهني عن شعب
السعودية . خلال موسم الحج . ونهب عملاقة
أمامي كلما هنا حاطري إلى البلاد المقدسة هي



حجاج .. وون ضاهيه من ماء يرمو

فوي هذا اعتناصا . بل حقيقة لمستها أنا بنفسني
في هذا البند الأمين .. فريدة في لون تجارها ..
حيث يصبح التاجر لعميل بقوله :
« نكفيت يا أخي ثلاثة أمتار من هذا
السيح نكفي وزيد ! »
فإذا تخوف العميل وطلب مترا آخر .
قال له التاجر باخلاص ومودة .

« لماذا تبعر نقودك فيما لن ينفعك ؟ لقد
نصحتك أن تأخذ ثلاثة أمتار فقط من هذا
السيح . لأن هذا السيح عريض وسوف يكفي
كريمته لعروس لتصنع لنفسها من تواسا
فضماضا بكمين يصلان إلى الرسع . وتحرره
هي خلفها من فرط طول !

أما الأثمان والأسعار فقد استتبت فيها .
لا ارتباغ ملثا مفاحي . ولا ذبذبة محمومة .
ولا تور أعصاب . ولا تحنر . ولا تمر !

أمر بهرني . والجم لساني . وملا قسي
بشكر وامتنان حتى قاصت عياني .

فسألني ابتي . الحاجة الضيبة . بوجهها المزي
وروحها الصافية تطل من نظرتها :

« لماذا تبكين . يا أمي »
فقلت ها ما أقوله لكم ها .

صورة احدى النعم التي نعمنا بها هناك !
الأمن والسلام التي تشيع في قلب ذلك الشعب
الكريم . حتى بات الأمن في هذه البلاد موضع
دهشة واعجاب . فالمحال التجارية في الأحياء
الشعبية الأصيلة . في المدن المقدسة خاصة .
في مكة ومي والمدينة المنورة . هي محال
بلا أبواب على الإطلاق برغم طاقات السيح
الفاجر المكسدة فيها والحرير الثمين انفهاض
فعندما يرفع الأذان حليلا محذرا يدعو الناس
للصلاة . يهرع صاحب المحل مع معاونه أو
ولده أو مع كليهما إلى الحرم ليكونوا أول المصلين !
أما بضاعته فيتركها كما هي على رفوفها بهجة
للناظرين . وفي تناول يدهم أمانة في رعاية
الله . سبحانه وتعالى ! لذلك كنا نحن أيضا
ننام ملء جفوننا في حجرتنا . أو في خيامنا
بلا نوافذ معيقة . بلا أبواب موصدة ! فإذا
خرجنا للصلاة أو لجولة . تركنا متاعنا ومالنا
على حاله وغينا عنه كما نريد ! مع نجمة الصباح
الأولى . يبخر التاجر محله . ويرطبه . ويعطره
برحيق النورد والزهر . ثم يجلس نصيحا ناصعا
في حبابه الأبيض . وغطاء رأسه الأبيض .
وقلبه الأوفر أيضا من الاثنين ! اني لا أقول

الحجاج ويطلق بخاره المطهر في وجوههم !
ثم يضغط على زر ، فسرعان ما تهب سحابة
كثيفة لطيفة الرائحة تلف الناس ، وثياب الناس
وتلف البيوت والمحال والمطاعم .

أنها بلاد تقدمية .. تستخدم الطائرة
« الهيلوكوبتر » في تنظيم المرور
عن طريق اللاسلكي ، وفي تبخير مساحات
شاسعة من الصحاري .. والطرق .. والمداين !
بتواضع جم ، وبشعور بالواجب متوهج ..
تحت شمس حارقة .. ساعات وساعات ، يقف
المسؤولون .. الكل يعمل .. ويكد ويكدح يتقربون الى
الله بارهاق أنفسهم في خدمة حجاجه ، سبحانه !
« يا رب ! أنا التائهة وسط زحام الدنيا ،
فلا تجعل رأسي يدور بمباهجها ، ومفاتيها !
اللهم لا تدع قلبي يشمل بتجاح فيها ويدأب ملهوها
على مزيد انما نجاحي هو قربى منك يا الهى !
يا رب : طامعة أنا في كرمك ، فعلمني
اللهم أن أفتح قلبي وبابي لكل ملهوف من
عبيدك يا مالك الملك ،

يا رب : أنا الفقيرة اليك ، يا غني عن
العالمين ! يا رب : أنا الخائفة في قوقعة وحدتي
الا من صحبتك السجينة في غيابات ذنبي الا
من مواسنتك ! فاطرق اللهم بنورك قلبي
الناضب بحبك ؟ »

يا رب : أوزع قلبي أن يتلهف على عالم
الروح والشفافية . وأن يشرب الى الري بكلامك
المزحل يا الهى !

ربي : طامعة أنا في عفوك . فعلمني
الغفو عن عبيدك قبل أن أطلبه لنفسي منك .
يا عفو يا رحيم !

يا رب : خذ بيد روحي الخيري وخلصها
من صغائر الدنيا ، وامسح الغرور عن نفسي
يا رب : واقفة أنا على أبواب مملكته الواسعة
أغسل أعتابها بدموعي ، وأقر على بابك بدقات
قلبي المشتاق لنورك يا الهى !

يا رب : انثر الحب ، والأمن والسلام على
كل ركن من أركان الدنيا ، كما يتناثر الندى
الخصيب من السحب بأمرك يحمل الخير .
والأمل ، والازدهار !

اللهم : ذكر عبيدك المكبين المتهاكبين
المتكالبين على مادة فانية ، أن يرفعوا وجوههم
الى سمائك الصافية في لحظات غضبهم ! اللهم
فامسح حينئذ بأنملة نورانية عن جباههم تقطيع
البغض ، وارسم على الوجوه بسمة السماحة والرضا
وازرع في الأفئدة محبة وسلاما ■



في أواخر أيام التشريق يبنى يقبل الحجاج على شراء المنافع وغيرها من هدايا ليعيدوها
الى أقربائهم وأصدقائهم فرحين مستبشرين بعد عودتهم من حج مبرور وسعي مشكور .

الرئيسي في « المعجزة » ! رقابة بعين مفتوحة
أبدا لا تنام !

وبعد تنظيف الشوارع والطرق ، يحل
دور غسلها . وقد قامت بالمهمة خير قيام
سيارات ضخمة ، كيانها عينه خزان ماء ،
على كل من جانبيه رذاذ يندفع منه الماء كالنافورة
ليغطي رقعة كبيرة من الأرض ، ولكل من تلك
السيارات فرشاة ضخمة مثبتة بين عجلتيها
الخلفيتين ، ولم تكن تلك السيارات تعمل الا
قبيل الفجر بساعة أو ساعتين ، عندما يتقهقر
النشاط ، وتخفت الأصوات ، ويغيب الضجيج .
ويرحف التعب الى الأوصال ، ويقبل النعاس ،
وتشتد اللفة على الراحة ! فتغلق المحال التجارية .
والمطاعم ، وأفران الخبز ، والمقاهي ، ويخلو
الشارع . ويسود سكون ، وتحط عليه سكينه ،
وقد هجع الناس جميعهم ينشدون النوم لحظات !
ثم عمال الصحة رأيتهم أعدادا كبيرة ،
وقد انتشروا بين الجموع المتكتلة في شوارع
« منى » الضيقة خاصة ! فيحمل كل منهم
جهاز تبخير على كتفه ويندس بين الناس
المتراخمة ، وقد أمسك بخراطيم الجهاز بعد
أن أمال فوته نحو الأرض . وذلك كي لا يزعج

— « لأنها أول مرة هذه . يا ابنتي . أعجز
فيها عن التعبير عن مشاعري بالكلمة وأنا مهنتي
ورأس مالي : « الكلمة المعبرة ! فكان لا بد
أن أعبر بالدموع عن دهشتي وفرحتي !

ففي « منى » .. بين شقي الجبل ، والحجاج
جميعهم قد احتشدوا في تلك البقعة الصغيرة
عينها .. تلك الأيام الثلاثة يمارسون شعائر الحج
ليكتمل لهم ركن هام من أركان الدين وأعمدته .
انتهى موسم الحج بلا ذباب ! على الرغم
من مئات الألوف من الحجاج من مختلف الفئات
والبيئات والمستويات .

كنت أندس بين آلاف الحجاج .
أسير سيرهم . وأشتري مما
يشتررون . وآكل مما يأكلون : حنوى . أو
شريحة دجاج ، أو المعروض في الأسواق من
أرغفة حارة ذهبية ، ثم اشتري هدايا من أساور
زهيدة الثمن مزخرفة ، وطواقي مطرزة . وعشرات
السبح الملونة !

لم أكن في عزلة على الإطلاق عن حشود
الحجاج ومع ذلك .. لم أر ذبابة واحدة !
« الرقابة » اليقظي أبدا والحازمة أبدا على
« نظافة » الشوارع هي التي اعتبرها صاحبة الفضل

ذِكْرَاتٌ عَنِ الْحَسَنِ

بقلم الدكتور عبد الكريم جرماتوس

بعد ظهر أحد أيام شبابي كنت أنصفح مجلة مصورة قديمة كانت طافحة بالحكايات والأخبار اليومية مع كثير من صور البلدان البعيدة . وخلال تقليدي لصفحاتها بلا اهتمام وقعت عيني على صورة لمنازل ذات سطوح مستوية ارتفعت بينها قباب مستديرة تحت سماء أضيئت بضوء هلال . وفوق أحد السطوح امتدت خيالات على شكل خطوط عجيبة لأناس وقفوا في صفوف منتظمة وهم يرتدون الملابس الفخمة الجميلة . ولقد أثرت عليّ هذه الصورة كثيرا . كان المنظر شرقي الطابع ، شبيها إلى حد كبير بالأمكنة التي يتحدث عنها أحد الرواة في حكاياته الغربية عن الشرق العربي . كان المنظر قريبا إلى قلبي لدرجة أنني غدت كشاب مجري في السادسة عشرة من عمري وكأنني أجلس مع باقي المستمعين العرب فوق الديوان الناعم الوثير نستمع إلى المغني بصوته الحنون المحزن .. فولد في نفسي حبا لا يحتمل لمعرفة طبيعة شعاع هذا النور الذي يجادل الظلام في الصورة .

وابتدأت أتعلم اللغة التركية ، ولم يمض طويل وقت حتى عرفت أن اللغة الأدبية لا تحوي إلا عددا قليلا من الكلمات التركية الأصلية . لقد كان الشعر في اللغة غنيا بالتعابير الفارسية بينما كان النثر طافحا بالعربية . فمن أجل الدخول إلى عالم معنوي يبعث النور على الإنسانية ابتدأت أتعلم هذه اللغات الثلاث جيدا وأكتب كلماتها وأتكلمها .

ومرت أعوامي بتغير الحوادث والرحلات والأعمال . فكل هذه فتحت أمام عيني آفاقا فسيحة ومجالات جديدة حديثة . سحت في كل بلدان أوروبا ودرست في جامعة استانبول ، واطلعت بكل تقدير على روعة تاريخ سوريا والأناضول ، وتعلمت اللغة التركية والفارسية والعربية . ثم شغلت منصب تدقيق المؤلفات الإسلامية في جامعة «بودابست» ، فقرأت برغبة جامحة ما خلفته الدهور من معرفة محسوسة رفيعة مع آلاف الصفحات من الكتب العلمية التي وجدت فيها طرف الحبل الذي أبحث عنه ، ولكني لازلت أبحث عن الخضرة التي لا تنمحي والمنبعثة عن أسلوب الحياة الدينية التي تجول في نفسي .

وامتلاأ عقلي بالمعرفة وطفح . ولكن روحي بقيت بلا ماء ، يجب عليّ أن أنقي ما عندي من علوم . وعن طريق العيش في عالم الحب



صورة للمسجد الحرام في مكة المكرمة يرجع عهدها إلى عام ١٩٣٤ .

الاهلي المنيعث عن أصالة النار المضطربة في نفسي
يجب علي أن أنال ذلك .

وفي مرحلة أخرى من مراحل حياتي ذهبت
الى القاهرة . وفي الأزهر الشريف قرّ عزمي أن
أقوم بدراستي وحدي مستعينا بمعلم خاص تكرم
بتضحية جزء من وقته لتعليمي ، كما لقيت
مساعدة عظيمة من بعض أصدقائي بالقاهرة ،
كالأستاذ محمود تيمور الذي يجمع بين ظرف
الشباب وطهارة الشيوخ ، والشاب النابه محمد
أمين حسونة الذي عرفني لى طائفة من أدباء
مصر وصحفيها ، وأغارني مكتبته طيلة اقامتي
في مصر ، والباحث محمد عبد الله عنان الذي
بعد حجة في التاريخ الاسلامي ، والشيخ الوقور
عبد الوهاب النجار الذي له أتباع وتلاميذ منتشرون
في أنحاء الأرض ، والذي كان سببا في تعرفي
بكثير من اخواني المسلمين . وكانت كتب
توصيته بمثابة مفتاح يفتح أمامي كل باب .

وفي أواخر فبراير سنة ١٩٣٤ ، زودني
الأستاذ النجار بكتب توصية بمناسبة
عزمي على أداء فريضة الحج ، واستعددت استعدادا
كاملا للفريضة الكبرى .

ازدحم الناس على رصيف محطة القاهرة
ما بين الصفوف الطويلة من قطارات السكك
الحديدية ، فيهم السياح الغربيون . وفيهم
المصريون « المطربون » وفيهم الشيوخ المعمون ،
والى جانبهم فلاحون بلباسهم المتواضع ، فتألفت
من مجموعهم صورة متلونة متحركة رائعة المنظر .
والخط بين الاسكندرية والقاهرة ممدود منذ
تسعين سنة .

لم أكد أصل الى المحطة حتى عرفت بين
الجموع المزدحمة أصدقاء لي حضروا لتوديعي ..
وهم نخبة من العلماء والأدباء اشرأت أعناقهم
ومدوا أيديهم ليصافحوا صديقهم الشيخ عبد الكريم
قبل ارتحاله . هنا شيخ ذو بشرة سمراء ، ضعيف
البنية ، ما زال آخذا بيدي ، ذلك هو الشيخ
الأهمل اليمني ، وقد أظهرت لي عيناه اللامعتان
احساسه نحوي ومكنون اخلاصه لي ، فهو يابى
الا أن يقدم لي خاتما من اصبعه يكون تيمية
تدفع عني عصى الأمراض وما فقه يقول :
« اذا ذهبت الى مكة فاقصد بيت اليمن وأنا
معروف لديهم ، وعرفهم بصداقتك لي وهم
يقبلونك ويقضون حوائجك ، المساكن هناك
متواضعة ولكن تجد عوضا عن الترف قلوبا
وفية مخلصه » . ثم أخذ الشيخ الأهمل ورقة
فخط عليها اسمي واسمه وطلب اليّ أن أقدم

الورقة الى شيخ بيت اليمن فهي توصية بي .
وقد وعدته أن أستجيب لدعوته .

وعلى مقربة من الشيخ الأهمل ، صديقي
أمين حسونه ، عيناه تنظران اليّ في اشفاق وحزن
كأنه يخشى أن يصاب بمكروه صديقه الغربي
الذي شاركه في كثير من أحلامه الأدبية
والاجتماعية . وهناك أيضا صديقنا محمود تيمور ،
والى جانبه الشيخ شوقي أمين الذي لم يخن معنى
اسمه أبدا ، وذلك أنه المشتاق الأمين لي من
يوم تعرفنا الى الآن ، ومعهما وجه الشيخ عبد الوهاب
النجار المنتسم دائما والذي يكنّ تحوي أنبل العواطف .
كثيرون من أصدقائي اجتمعوا على الرصيف
حتى بواب البيت الذي أقمت فيه لم يفته أن
يخف لتوديعي ، ويطلب مني أن أقرأ الفاتحة
باسمه وباسم البوابين رفقائه ، أولئك الذين أحبوني
وأحبوا من أجلي العربية الفصحى ، وأولئك الذين
يقولون لي دائما أنت تنطق بلسان نبينا الفصيح
ويستوصونني خيرا بأخوتهم المسلمين الفقراء في
البلاد البعيدة التي جثت منها .

صاح القطار صيحته المفزعة وتتابع صفيحه
وتحرك حركته البطيئة . قال المودعون :
« مع السلامة ، في أمان الله » .



الحاج عبد الكريم جرنانوس في
ملابس الاحرام ، في عام ١٩٣٤ .

وارتفع الصوت في الهواء وظل يرافقني في طريقي
مزبلا عن نفسي هواجس المخاوف ، وشعرت
حينئذ بخفقان قلبي وجيشان أفكاري التي كانت
متجهة الى جزيرة العرب منذ أشهر ، ثم مالت
الآن الى مصر اللامعة . وبدا أمام عيني الأزهر
والمساجد المنيرة والمناقشات العلمية ، ذابت كلها
الآن في خيالي حتى أصبحت كأسطورة لا تتصل
بالحقائق الملموسة أو كأنما هي حلم من أحلام
صباي تلقيته من حاضنتي في أول لحن غنتني
اياها . فأفارق الآن مصر . هذا القطر العربي
فأفارق به أول وقفة لي على طريقي نحو تحقيق
آمالي الحرة .

شعرت حينما نظرت الى نفسي أنني أحلم
الآن مرة أخرى . لأن على بدني لباسا شرقيا
وعلى رأسي طربوشا ، وأنخطى طريقا يمكن أن
يعاديني فيه البحر والسماء والهواء ومضايقات بعض
الناس ، لا أحمل معي الا قلبي المجري المخلص ،
واذا انقبض هذا القلب برعب لم يبق لي الا أن
ألقي نظرة الى العلم المجري الصغير تحت قميصي
وهو يذود عني الخوف والرعب . وقد أسر اليّ
هذا العلم أن المسلم المجري الأول الذي يدخل
الصحاري لا خوف عليه والله يحفظه .

وقامت بنا الباخرة « باسم الله مجراها » تشق
برزخ السويس ، فرحت أفكر في
تاريخ ذلك المضيق الذي كان سببا في فصل
أفريقيا عن آسيا ، بل كان فاصلا بين حقيبتين
من أحقاب التاريخ ، وبينما أنا غارق في غمار
تلك الأفكار اذ اقترب مني فريق من الحجاج
وبدا التعارف بيننا بسرعة . كان بينهم طبيب
هندي تصبغه كريمته . ولكن لسوء الحظ لم
يكن هذا الطبيب يعرف من اللغة العربية حرفا
واحدا ، فاضطررنا أثناء السفر الى التحدث باللغة
الانجليزية . وفي ذات يوم نظر الى نسخة من
القرآن الكريم في يدي ، وهي الطبعة التي تولتها
المنبعة الأميرية ، فأعجب بها أيما اعجاب ،
وطلب اليّ أن ابتاع لحسابه ألف نسخة من هذه
الطبعة ليعت بها الى الهند اذ لا توجد هناك
مصحف جميلة من هذا النوع .

وكان بالباخرة أيضا حاج مراكشي ، يشغل
وظيفة قاض في فاس ، وكان صبح الوجه
وقورا ، أميل الى التزام الصمت ، لكنه ما كاد
يسمعي أن تحدث بالعربية مع أحد الحجاج الأتراك
حتى أقبل البنا واشترك في الحديث . ولشد ما
أعجبت بتبحر الرجل في العلوم الاسلامية والفقه ،
كما أن لباسه الشرقي الفضيض كان يخلع عليه



هكذا كان ميناء جدة البحري في عام ١٩٣٤ حيث كانت القوارب تنقل الحجيج من البواخر الراسية في عرض البحر .



أحد مداخل مدينة جدة التي كانت ممر للحجاج وهم في طريقهم الى مكة المكرمة لتأدية مشاعر الحج ومناسكه ، ويرجع تاريخ هذه الصورة الى عام ١٩٣٤ .

المنطقة بالمدينة المنورة في عام ١٩٣٤ ، وهو المكان الذي كانت قوافل الجمال تحط فيه رحالها .



طابعا من الرزانة والوقار ، أما صاحبنا التركي فكان أحد ضباط الشرطة في دمشق ، وبعد اعتزاله الخدمة آثر أن يبقى في سوريا حيث تعلم اللغة العربية ، وكان طيلة سفره يشكو مر الشكوى من الأنظمة الحديثة في تركيا ، وبالأخص ترجمة القرآن وتشويه هذه الترجمة بحيث لا تؤدي المعاني المقصودة . ويظهر سخفه وتبرمه بالغازي الذي يحول دائما بين المسلمين الأتراك وبين أداء فريضة الحج ، ويرفق كل من أراد الحج بالضرائب الفادحة .

ذلك ترى أننا كنا على ظهر **ج** الباخرة من بلاد متباينة ، ولكن نجتمعنا جامعة الاسلام وتوَلَّف بين قلوبنا وتجعلنا نعيش كأفراد أسرة واحدة . فلما اقترب موعد العشاء أخذنا أماكننا على المائدة ، وكان يخيل الى كل من يرانا أننا في برج بابل ، فكل منا يتكلم بلغة لا يفهمها الآخر . بيد أننا سوف نصل بعد بضعة أيام الى جدة ونطأ أقدامنا الأرض المقدسة فنخلع عن أنفسنا تلك الملابس التي تفرق بيننا لنستبدل بها لباس الاحرام الفضفاض بحيث نكون سواسية في حضرة رب البيت الكريم . وبعد انتهاء طعام العشاء بقليل صفرت الباخرة صفيرا عاليا فغادرنا المائدة وتهيأنا للوضوء ، ثم صلى كل منا ركعتين قرأ فيهما سورتي « الاخلاص » و « الكافرون » .. »

وكان البحر هادئا والهواء نديا والنجوم تتألق في القبة الزرقاء ، وراحت الباخرة التي كانت تحمل على ظهرها أكثر من ٧٠٠ حاج تلقي مراسيها بين هتاف الحجاج ودعواتهم الحارة . وهكذا ظل الحجاج في هرج ومرج ، فكنت ترى البعض يهتف بقوله : « لييك اللهم لييك » . والبعض الآخر مستغرقا في صلاته ، وآخرين صامتين لا يبدون حراكا ، شاخصين بأبصارهم في ذهول نحو الأرض المقدسة التي خرج منها سيد الخلق ورسول رب العالمين .

وما كنت بأقل من هؤلاء الحجاج شعورا بالغبطة والابتهاج ، ولزمت مكاني خاشعا راكعا لا تقوى قدمي على الحركة . ودقات قلبي تثب في قوة وعنف بينما يردد لساني في خفوت : « لييك اللهم لييك » . ثم انهمرت الدموع من مآقي ولم أملك أن أمنع نفسي من الاسترسال في البكاء . أجل .. أدركت الحق الصحيح ولمست عظمة هذا الدين الخفيف ، وعبتا حاولت النوم في تلك الليلة . بل شرد عقلي ، واتجهت

بتفكيرى الى أعمال الخلفاء ، رضوان الله عليهم ،
والى رعايتهم الأمم الاسلامية ، وتوزيع أسباب
العدالة عليها طبقا لأصول الشريعة السمحاء .
لم يكن معي مما يذكرني بالشئون الدينية سوى
شيئين : جنبيات من الذهب معدودة ، ساعة
تعد الوقت ، ولكن رأسي كان مفعما بأشئآت
من الشئون الأخروية مما لا يحصى وما لا يعد .
جلست على ظهر السفينة خاليا ووجهت أنظارى
متطلعا الى الشرق وحولى الحجاج في ثياب الأحرام
المتشابهة يركعون ويسجدون ، صرنا كلنا متساوين
لا سيد ولا مسود ، لا غني ولا فقير ، الخضوع
للايمان وحد بيتنا ، صرنا أخوة في الظاهر ووجب
علينا أن نصير أخوة في الباطن أيضا . علينا
أن نتحاب لأن كل الحجاج أسره واحدة تستمنح
رحمة الله .

كنت لا أزال منزويا في مقدم الباخرة ،
حينما أسفرت أضواء الفجر الشاحبة
عن هذه البقاع الاسلامية المقدسة ، فاذا «جدة»
تسمو في السماء اللازوردية ، بينما تترامى أمواج
البحر على أقدامها ، تشقه عشرات البواخر
والزوارق في حركة متواصلة ، يتصاعد منها
صخب داو اختلطت فيه مختلف لغات الشرق ،
فأعادت الى ذهني المكدود بابل بأسواقها
وشعوبها ، الا أن المدينة الخالدة كانت تبدو
فوق هذه الحياة اللاغطة كأنما تسمو خلودا
فوق مظاهر مدينتنا الحديثة الزائلة ، وقد برزت
منها مآذن في دقة الحراب وقياب كانت شاحبة
البياض قبل أن يشوبها دخان بواخر الغرب فكانت
ترسو في ظلها المراكب الشراعية حاملة طوائف
المسلمين من الهند وجاوه وسومطره والصين وشواطئ
أفريقيا .

واقرب الصباح فاستعد الركاب للنزول ،
وبدأوا يستقلون الزوارق الخفيفة ، وكانت النساء
يرتدين تلك الملابس البيضاء ، سافرات الوجوه ،
لا يجروا أحد على أن يتطلع اليهن بنظرة ،
وقد أبعد الحجاج عن خواطرهم شتى صور الحياة
حتى لا يحول شيء بينهم وبين الوصول بقلوبهم
الى نور الله الواحد القهار .

وكان على الشاطئ حشد من الحمالين
والمطوفين ومراقبي جوازات السفر وفريق من موظفي
الحكومة لجباية الضرائب ، وهم جميعا يتكلمون
لغات شتى . فما أن يهبط عليهم أحد الحجاج
حتى يلتقطه المطوف ويقوده الى الموظفين المختصين ،
وبعد اتمام الاجراءات الرسمية يصحبه الى المسكن
المعد لاقامته .

وجاء دوري ، فلما مثلت أمام مراقب
الجوازات تطلع اليّ وسألني عن جنسيتي ، فأجبت
من بلاد المجر . عند ذلك أظهر ارتباكاً ،
اذ لم يسبق له أن سمع قبل اليوم ببلادنا .
وأخيرا أسر اليّ بأن مسألتي من المسائل التي
يبت فيها الأمير بنفسه . وأشار الى أحد رجال
الشرطة وأمره بأن يقودني الى دار الأمير لأنه
هو الذي بيده سلطة التصريح لي بالسفر الى مكة .
وكانت دار الأمير تبعد عن الميناء مسافة لا تقل
عن نصف ساعة سيرا على الأقدام . ولبيت الأمير
فسرت مع ذلك الشرطي نتجاذب أطراف الحديث
في طرق معبدة لمساء . غير أنه كان من سوء
حظي أن أحد مسامير الخف الذي كنت أنتعله ،
برز من موضعه ودخل في قدمي فأحدث لي ألما
شديدا ظل أثره أياما طويلا .

وما أن انتهت مقابلتي للأمير . وقد
استغرقت نحو ساعة ، حتى عدت
الى الباخرة ، وكنت قد نسيت أنني تركت أمتعتي
في الزورق البخاري ، ولقد كان أسفي لضياعتها
عظيما ، وكم عنت نفسي لوقوعي في مثل هذا
الاهمال الذي كانت نتيجته ضياع الأمتعة بما
فيها الكتب ، وكدت أقطع الأمل في العثور
عليها ، ولكن الله سلم ، فإن النظام المحكم الذي
يقوم به رجال الشرطة في الحكومة السعودية أتاح
لي أن أعثر عليها بسهولة في إحدى قاعات الجمر
وعليها بطاقة باسمي . وبعد ساعة قادني المطوف
الى دار الأستاذ «محمد نصيف» الذي كنت
أحمل اليه كتاب توصية ، وما كاد يتلوه حتى
راح يرحب بي على طريقة العرب في شوق
وترحاب ، وغمرني بكل صنوف الكرم التي
لن أنساها ، وتلك لعمرى إحدى مفاخر الاسلام
التي تتجلى عظمتها في كل مناحي الحياة .

والأستاذ «محمد نصيف» فوق أنه من
سراة الحجاز ، رجل مثقف ثقافة عربية ناضجة ،
وتضم داره مكتبة زاخرة لا يكاد الانسان يرى
مثيلا في بعض الأقطار الأوربية أو الآسيوية ،
وله رفاق يلتفون حوله كأسراب الطيور ، ليلتقطوا
من حديثه الشهي الحكم والعظات .

تبعد جدة عن مكة نحو ٧٩ كيلومترا ،
وتشبه مبانيها الاستحكامات العسكرية ، ودورها
مرتفعة ارتفاعا شاهقا ، وهي مكونة من جملة
أدوار ، بينما تتوج جدة قباب المساجد المقدسة
واسمة اياها بذلك الطابع الفريد الذي يميزها دون
سائر مدن العالم .

وتستقبل أسواق جدة زبائن من بقاع العالم

كافة ، ولا يفتأ تجارها يستحضرون أنواعا من
السلع لا تناسب بينها مطلقا ، بل هي خليط
من أذواق مختلفة ومشارب متباينة .

وبعد أن قضيت في ضيافة الأستاذ محمد
نصيف بضعة أيام ، صدرت الأوامر بالسماح
لنا بالسفر الى مكة . والواقع أن الفترة التي
قضيتها في دار ذلك الشيخ الجليل دفعتمني الى
الايمان الشديد بأن الفوارق الجنسية لا أثر لها
مطلقا في الاسلام ، بعكس ما نشاهده في
الحضارة الأوربية من الاشادة بالقوميات والعصبيات
وغيرها من المشكلات الاجتماعية التي تثيرها
روح التعصب الأعمى . وصادف أن رافقني
في السيارة الى مكة خمسة عشر زنجيا من أهالي
الصومال ، وكنا في خلال الطريق لا ننقطع عن
التلبية «لبيك اللهم لبيك» . وهنا يجدر
بي أن أنوه للمرة الثانية بعظمة الاسلام التي
تتجلى في عدم التفرقة بين الكبير والصغير والرئيس
والمرؤوس ، فالكل سواسية . وقد شعرت بتلك
الحقيقة وأنا بصحبة هؤلاء الزوج الفقراء ،
وقارنت بين ذلك وبين الفروق الشاسعة في
أوروبا الموجهة نحو التمييز العنصري والتفرقة
بين الألوان .

كانت السيارة تنطلق بنا في طريق ممدد
لا يمله النظر في كل جزء من أجزائه ، طريق
سلكه قبلنا ملوك وعظماء وأنبياء منذ مئات السنين .

ودخلت سيارتنا مكة في منتصف الليل
تقريبا ، فراعني أن أرى الناس
في الشوارع ، يغطون في نومهم ويحملون بالجنة
التي هم بها موعودون ، لا سيما وأنهم أصبحوا
على قاب قوسين منها . أمّاج هذا المنظر خاطري
فانبثق في نفسي شعور خفي وأنا أستقبل تلك
الأرض المقدسة التي وطنتها قدما الرسول ، وكانت
خير منارة للحق ، فهدت الناس الى السبيل القويم .
ثم تابعتنا سيرنا ، ووضحت لي معالم مكة ،
فأخذت حنيني يتوثب ، واستطلاعي يشتد ، وأخيرا
دخلنا مكة . أجل ، دخلنا أول بيت وضع للناس .
تلك هي مكة التي يتجه اليها ثلاثمائة مليون
من المسلمين خمس مرات كل يوم ، وقد كنت
مقرورا أحس ببرد شديد ، ولكن فرط التذكر
وحضور المعاني الدينية في نفسي ، كل ذلك
أكسبني حرارة زالت بها البرودة عني ، وتحولت
الى حالة جديدة اذ نبع من أعماقي نبع من
عرفان الجميل لله الذي هداني الى هذا البلد
وما كنت مهتديا له لولا لطفه بي وإرادته
الخير لي . ولم تكد السيارة تدخل مكة حتى

- وكان له حلم ؟
- حلم كل ذي طموح .
مثلا ؟
- أن يكون أحد رجالات دار الخلافة .
- كذا .. وسبب فقده البصر ؟
- مرض أصابه .. وقيل الكثير في أسباب مرضه ،
وعندي أن كثرة الدرس ، وفي أوقات الليل خاصة ،
هي وحدها السبب .
- قد تكونين مصيبة .. وهل من أمل في عود
بصره إليه ؟
- بالله سبحانه وتعالى الأمل .
- أرى أنك مؤمنة .
- وأشد من إيماني إيمان وندي الذي لا يشك
في أنه سيستعيد البصر ، ويتابع السير في السبيل
الذي اختطه لنفسه .
- سبيل الوصول إلى دار الخلافة .
- قد لا يكون على حق في طموحه إلى تحقيق
حلم كهذا ، ولكن ...
- ولكن ماذا ؟
- أليست للشباب أحلام يتعذر تحقيقها ، وتظل
مع ذلك تدعى « أحلام الشباب » ؟
قال الخليفة ضاحكا :
- صحيح هذا .. وعندي أن أجدر أصحاب هذه
الأحلام بتحقيق أحلامهم طلاب العلم لأن لأمثالهم
مناصب الدولة .
وعطف قائلا :
- وهلا حلم آخر لولدك ؟
- حلم آخر ...
قالتنا متنهدة ، وتابعت :
- حلم كل مسلم مؤمن .. كل راغب في حسنات
الحج ، تلك التي من زود نفسه بها أمن العثار في
دنياه ، وكان له في نفسه سبيله القويم من هذه
الدنيا إلى الآخرة .
- وما حسنات الحج ؟
- قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « من حج
من مكة كان له بكل خطوة يخطوها بعيره سبعون
حسنة ، فإن حج ماشيا كان له بكل خطوة يخطوها
سبعمائة حسنة ... وكل حسنة من حسنات الحرم
بمئة حسنة » .
قال الخليفة دهش :
- من علمك هذا ؟
- قالت مزهوة :
- ولدي ، يا أمير المؤمنين .
قال : من هنا أرى طلائع فضل ولدك ونبوغه ..
هل من حائل يحول دون تحقيق حلمه بالحج ؟
- قالت : كلا ، ولكن ...
- ولكن ماذا ؟
- ليس المال ما نفتقر من خير الله إليه ،
وافتقارنا إنما هو إلى الرفقة وحدها ، فولدي كما يعلم
أمير المؤمنين ضرير ، وأنا امرأة .
- وترافقته أنت ؟

- وهل من الحكمة والمعقول أن أدعه يسافر وحده ؟
- قال : ستكون لك الرفقة المطلوبة .
- قالت ، وكأنها غير مصدقة :
- كيف ؟
- قل : لقد اعترفنا الحج هذه السنة ، وستكونين
وولديك في عداد الذين ستألف حاشيتنا منهم رجلا
وبس .
« * * »
- عادت حامدة إلى كوخها ، حيث كن ولدها
ينتظر على نار ، لمعرفة سبب دعوة الخليفة لها ..
وما كادت تدخل الكوخ حتى بادرها بقوله :
- خيرا ، يا أماء ؟
- دست . والارتياح يغمرها :
- أنتى ، يا ولدي .. سنحج برفقة الخليفة .
- برفقة الخليفة ؟
- الحج برفقة الخليفة ... إنها لخطوة أولى في
سبيل طموحه ، في سبيل تحقيق حلمه ، ولن تكون
الخطى التي بعدها صعبة ، فيما لو أعاد
الله إليه بصره .
- وأعادت عليه أمه قول الخليفة : « وعندي أن
أجدر أصحاب هذه الأحلام بتحقيق أحلامهم طلاب
العلم ، لأن لأمثالهم مناصب الدولة » .
- وأحس الفتى كأن الخليفة يدعوه بقوله إلى
المشيرة على طلب العلم .
- وبات منذ تلك الساعة وكأنه ولد من جديد ،
وفي دنياه ثلاثة ، أثنان منها توافرا حتى الآن له :
الإيمان بالله والحج ، وما دام هذان الاثنان له ،
فلا بد من أن يكون له ثالثهما ، وهو عود بصره إليه .
« * * »
- بين بغداد ومكة مسافة صعب قطعها ، إلا أن
يكون القصد إلى البيت الحرام ، وكسب ما وراء
الضواف به من حسنات .
وموكب الخليفة بهذا القصد يسير ، من بغداد
إلى مكة ينشد الرحمة والغفران .
كان هم الخليفة الأول ، بعد الوصول إلى
الأرض المقدسة ، والقيام بمراسيم الحج كاملة ،
الانصراف إلى تدير أمر ولديه الأمين والمأمون .
وكان بين الأخوين فارق :
الأمين ضعيف الشخصية ، والمأمون قويها .
ومع ذلك فقد كانت ولاية العهد للأمين ،
والخوف من أن يؤدي « فارق الشخصية » إلى التنافس ،
فأى تنازع السلطان بين الاثنين ، جعل الخليفة
الحكيم يحتاط للأمر ، ويعطي كلا منهما في حياته
ما يجنبهما خطر الفرقة بعد موته .
وبحضور أركان دولته من مرافقيه ، وجماعة
من أهل العلم ، وضع الخطة التي رآها أنسب من
سواها لذلك .
- واستكتب كلا من الأخوين كتابا .
وبعد الإصلاخ والموافقة عليهما ، أمر الخليفة
بإبلاغهما الرأي العام بتعليق نسخ منهما في الكعبة .

- وارتاحت نفس الخليفة إلى ما فعل .
- وانصرف إلى غير ذلك من الأمور .
وتذكر حامدة وولدها ... وشاقه أن يعرف
ما كان من أمرهما ، بعد أن تظهرت نفسها بالحج ،
وقال الفتى الضمير المؤمن ما كان يصبو إليه
من الحسنات .
- واستدعى حامدة ، وقال لها :
- أرجو يا حامدة أن يكون ولدك قد وفق في
ما أتى من أجله ، وأن يكون له من ارتياحه التضي
ما يضاعف إيمانه بالله .
- قالت ووجهها يطفح بشرا :
- لقد طاف ولدي يا أمير المؤمنين وركع وصلى ،
ولم يكن إيمانه بالله يوما أحر منه اليوم ، فقد
قال لي مستبشرا : سيعود بصري إلي ، يا أماء .
قال الخليفة :
- هكذا قال لك ؟
- قالت : هكذا ، يا أمير المؤمنين .
- ودليله ؟
- هاتف أثناء في المنام ، وقال له : لن يكون
إيمانك بدون ثواب ، وثوابك ما أنت بحاجة إليه
لتعمل في دنيائك ما يمد لك السبيل إلى الآخرة .
قال الخليفة :
- إذن ، سيعود إلى ولدك بصره ؟
- قالت : بعون الله .
- وسيعود إليه إصراره على طلب العلم .
- عهدي به هذا .
قال : وددت لو أرى ولدك فأحدث إليه
ولكن ... أتخاشى ذلك ، لتلا يدر مني ما يضعف
شيثا من إيمانه ، فأسيء إليه من حيث لا أدري .
- وتابع صادق اللهجة :
- ومع ذلك فاني أكرر ما قلت سابقا من أن
مناصب الدولة في عهدي لم تكن يوما إلا لأهل
العلم وطلابه .
« * * »
- عاد الخليفة ومن معه من الحج ، كما يعود
كل مؤمن أدى واجبه الروحي ، وأثابه الله من
منه كل ما يدعو للشكر .
- كذلك عادت حامدة وفتاها شاكرين .
والشكر في أي حال لله القائل : « لئن شكرتم
لأزيدنكم » ... ومن أحوج من حامدة وفتاها
للزيادة ؟
- وستأتي الزيادة المنتظرة ،
ستأتي ...
يؤكد ذلك الإيمان ... يؤكد ذلك كذلك الهاتف
الذي أتى في المنام ، وقال للفتى أنه سيثاب على
إيمانه ، وسيكون ثوابه ما هو بحاجة إليه .
- وإلى البصر هو بحاجة ،
وسيستعيد بصره .
وبانتظار الأعجوبة كان الفتى ينام ، والأم
تسهر معظم الليل بالقرب منه ، وكأنها على موعد
مع البشرى .

ولكن ... أي مفاجأة تلك التي لم تكن تتوقعها ،
لم تكن تحسب أنها تسهر الليالي لتكون هي التي
تأتيها ، بدلا من الأمل الذي كانت تعلل
النفس به ؟

ذلك أن صوت فتاها ارتفع فجأة ، وكأنه
السهم انطلق من قوس سكين الليل ، وشك في
قلبي :

- أمي ... أمي ... النجدة .

علام يستنجد الفتى ؟

أي شيء أقمى من الحمى جعل من ليله الدائم
مصدرا لمخاوف تحمله على الاستنجاد ؟
وبم تقوى أمه على انجاده ؟

لو أن لها أن تقلع عينيها من رأسها ، وتهبه
أيامها بدلا من عيني ، لما ترددت في الالقاء على ذلك ،
ولكن ...

كل ما كان يمكنها أن تعمل ، ردا على
صرخة الاستغاثة التي أرسلها ، هو أن تضمه إلى
صدرها قائلة :

- ليبيك ، يا ولدي .

وبفيض من حناها المنهمر دمعا سخيا من
عينيها تابعت :

- ليت لي أن أرد إليك بصرك ، ولكن الله
الذي توكلت عليه لن يخيب رجاءك .

قال الفتى ، وكأن القول يخرج مع الروح
من صدره :

- كان هذا أمني من قبل .

قالت : والآن ؟

قال : الآن ... ربما كان سبحانه وتعالى
يرى أن ذهابي من هذه الدنيا خير من بقائي فيها .
وأخسر الأمي الأم .. وكاد الشك يداخلها
برحمة الله .. إلا أنها استعادت على الفور روعها ،
وقالت :

- مم تشكو ، يا ولدي ؟

قال : أحس كآتي في أنون ، ودفق من
سعيه يتصاعد مع اندم إلى رأسي ، ومخاؤز من
أسنة الهم تشك في عيني ، وصوت الهاتف الذي
أتاني المرة الماضية يدوي في أذني ، و ...
وتوقف عن الكلام ،

فقلت الأم :

- وبعد ؟

ولما لم يجب ، كررت السؤال :

- ما قال الهاتف ؟

وكادت دقات قلبها تتوقف عندما نظرت إليه ،
وأشعة المصباح الضئيل الذي ينير الكوخ تنعكس
على وجهه ، فإذا هو يبدو وكأنه جنة هامة ،
فصاحت :

- حسن ..

وكان الأب المتعب يغط في النوم ، فنادته
ثانية وثالثة ... واستيقظ أخيرا من نومه العميق ،
وقال لها :

- ما بك ، يا امرأة .

قالت : الطبيب .. لا من دعوة الطبيب
في الحال .

قال : ولم الطبيب الآن ؟

قالت : ولدنا وحيدنا ...

وأجهشت بالبكاء .

ولم يكن قلب الأب أقل من قلبها حنانا ،
تجاه الآلام النفسية والجسدية التي يعانيها ولدهما ،
ولكن ... كان عليه كرجل أن يتجملد أكثر
منها كأمرأة ، قال :

- كفي عن البكاء ، وقولي : ما الحاجة إلى
الطبيب ، في ظلمة هذا الليل ، وولدنا ينام النوم
الذي أرى ، وغير الله لن يعيد النور لعيني ؟

قالت متماكة :

- غير نومه العادي ينام ولدنا .

قال مهتما :

- غير نومه العادي ؟

ونظر إلى وجه الفتى النائم ، فإذا هو غير
الوجه الذي يعرفه ، غير الوجه الذي فقدت عيناه
البصر ، ولم تفقد بقية أجزائه شيئا من معطيات
الحياة .

واكتفى بالنظرة التي ألقتها عليه ، ومن غير
أن يعبر عن أساه بكلمة ، خرج في طلب الطبيب .

* * *

كانت للطلب العربي ، فسي زمن الدولة
العباسية ، دولة .

وبرغم الشهرة التي نالها بعض أطباء ذلك الزمن ،
فقد ظلوا عاجزين - عجز زملائهم اليوم عن التغلب
على بعض الأمراض التي كانت تقاوتهم بظهورها .
ومن الأمراض الغريبة المفاجئة ، كان مرض سعد .
ولم يجد الطبيب الذي استدعي سبيلا إلى معرفة
ذلك المرض ، فقال :

- حمى .. حمى عجيبة ، علينا بانتظار أيام ،
قبل البت بأمرها .

ووصف دواء كيلا يقال لم يصف شيئا .
ومر الليل ... وحتى ليل اليوم التالي لم تفارق
الحمى المريض الذي راح في غيبوبة شاملة والأم
الفاقة كل شعور بمرور الوقت يخيل لمن يراها
أنها في غيبوبة مثله .

أ يكون الله تخلى عن وحيدها ؟

لا يمكنها تصور ذلك .

لا يتخل الله عن المؤمنين به ، وإذا كانت
يد الطب عاجزة عن شفاء ولدها ، بعد اعترافها
بالعجز عن إعادة البصر إليه ، فإن يده تعالى
غير عاجزة عن ذلك .

وفطنت لأمر كادت تنساه ،

فتهلل وجهها ...

ذلك أنها كانت قد أتت بشيء من ماء زمزم ،
فأنزلت منه نقطة في فم المريض الحبيب ،
ومثلها على كل في عيني المغضتين .

ومتت ضارعة :

- اللهم ... كما استجبت لدعاء الاعرابي ،
وعالجت معذبي من بني الضعفاء العقاب الذي استحقوه ،
أسألك من أعماق قلبي المنسحق أن تستجيب لدعائي ،
وتعيد إلى ولدي عافيته وبصره .
وكانت الأعجوبة .

فإذا الفتى الفاقدة الوعي والنطق يتململ على
فراشه ، ويصرخ :

- أماء ...

ونظرت الأم ... فإذا دم غزير ينهمر من
أنفه ، ولون الدم المنهمر يبدو وكأنه غير لون
الدم العادي ، فلم تماك من اهتاف قائلة :

- ولدي ، فذاك روحي .

وتكلم الفتى ... تكلم ، بعد الصمت الذي
طال حتى كادت الأم المنسحقة القلب تحسبه
أبديا ، قال :

- أين أنا ؟

قالت متصنعة الهدوء :

- أنت هنا ، يا حبيب أمك ... قريب من
قلبي ، فما علة الدم هذا المنهمر من أنفك ؟
قال : علة هذا الدم ...

وتوقف عن متابعة الكلام ، وكان شيئا آخر
أهم طرا عليه ، وبعد أن كانت طبعته طجة عليل
يأس ، تحولت إلى طجة سليم يغمره الأمل والفرح ،
فهتف قائلا :

- أمي ... انني أراك ، وأرى كل ما حولي ...
أ يكون الله سبحانه وتعالى قد أشفق علي ، وصنع
معي الأعجوبة التي كنا بانتظارها ؟

وكادت الأم تطير قرحا .

وصاحت بالأب المتعب النائم :

- حسن ، قم ... لقد استعاد ولدنا بصره ،
فقم نشكر الله سبحانه وتعالى على الأعجوبة التي
صنعها معنا .

وفارت الحمى كذلك الفتى ،

فإذا هو معافي .

وأول ما خطر للأُم الماضي به إلى الخليفة ،
لأن التفاتته الكريمة ، حين أمر بضمهما إلى موكب
الحج ، كانت في نظرهما دينا يجب وفاؤه .
وثمة أمر آخر ...

انه طموح ولدها إلى العلم ، وإلى احتلال
المناصب العالية ... وقد لفت طموحه الخليفة ،
ومن غيره يستطيع أن يسهل له السبيل لنيل أمنيته ؟
ومضت به إلى دار الخلافة .
وسر به الخليفة .

وإذا عرف الذي جرى له ، وكيف كان عود
بصره إليه ، عد ذلك نعمة من الله ، لا يخص بها
الا الصالحين من عباده ، وقال للفتى :

- لا شك في أنك مدعو منه تعالى إليها الفتى
لإداء رسالة ، وأن خيرا عيمما سيأتي الخلافة والاسلام
على يدك ، فسر في السبيل السوي الذي اخترته
لنفسك ، وغب من معين المعرفة ما شئت أن تغب ،
وأنت منذ الآن في عداد كتاب دار الخلافة ■



كُسُوَةُ الْكَعْبَةِ الْمُشْرِفَةِ

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿١﴾
فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ، وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا .

كسوة الكعبة المشرفة ، لقرون طويلة ، تهدى من قبل حكام مصر ، الى أن قبض الله للجزيرة العربية رجلا المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، فجمع شملها ووجد أجزائها المتراصة الأطراف ، فأمر بأن تنعم قبلة المسلمين بأول كسوة تصنع في أم القرى ، مهبط الوحي ، وموطن النور ، وتحالك بأيد وطنية سعودية . تم هذا الحدث التاريخي والعمل الاسلامي الجليل في غرة محرم عام ١٣٤٦ هـ ، حينما أصدر جلالتهم أمره السامي بإنشاء دار خاصة في مكة المكرمة ، تعد للكعبة المشرفة في كل عام كسوة بهية أنيقة يشهد بروعتها وأصالتها ودقة صنعها كل من استطاع الى حج بيت الله الحرام سبيلا . وهكذا ارتدت الكعبة المشرفة أول كسوة من الحرير الخالص صنعت في أم القرى على مر التاريخ .

ثم قبض الله للجزيرة العربية ابن موحدها ، خادم الحرمين الشريفين ، ورائد الدعوة الى التضامن الاسلامي ، الفصيل المعظم ، ليمت ما اختطه أبوه يحزم وعدل ، ويرعى هذا العمل الاسلامي الجليل بفائق رعايته ، ويولي به بالغ عنايته تكريما لهذا البيت الذي جعله الله مثابة للناس وأمانا .

ففي التاسع من ذي الحجة من كل عام ، وفيما يتجه الحجاج بقلوبهم الى الله مخلصين له الدين حنفاء ، معتصمين بحبله المتين ومستمسكين بعروة نبيهم الأمين ، تجتمعهم أقدس رسالة وأسمى شريعة .. في هذا اليوم الأكبر الذي يقف فيه ضيوف الرحمن في عرفات ، يستهوبون من رحيم الرحمة والغفران ، ويتبنون منه الفضل والرضوان ، ترتدي الكعبة المشرفة ثوبها البهي وتتسرل بسربالها الدمقسي ناطقة بالظمة والوقار والجلال والاكبار يزينها حزام تحليه الآيات الكريمة والنقوش المطرزة بالقصب المموه بالذهب حتى اذا ما أشرق العيد وعاد الحجاج الى بيت الله الحرام بدت لهم في حللتها القشبية وكأنها تشارك عباد الله الصالحين فرحتهم بالعيد السعيد ، بعد أن شهدوا منافع لهم وذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام .

الحجـة تاريخية

تجمع معظم الروايات التاريخية أن أول من كسا الكعبة كساء كاملا من الحرير المقصب هو « تبع الحمير » وذلك قبل الهجرة بقرنين ، وقد ورد ذلك في كتاب محمد ليب البتوني « الرحلة الحجازية » حين قال : « وأول من كساها تبع أبو كرب أسعد ملك حمير حين مر عليها واجعا من غزوته ليثرب عام ٢٢٠ قبل الهجرة » ، ولكنه قال انها كسيت بالبرود المقصبة وأنه عمل لها باب ومفتاح . واستشهد على ذلك بما أنشده « تبع » مقتخرا . فكسونا البيت الذي حرم الله ملاء مقصبا وبرودا وأقمنا به من الشهر عشرين وجعلنا لبابه اقليدا كما تشير هذه الروايات أيضا الى أن أم العباس ابن عبد المطلب هي أول من كسا الكعبة من النساء

بالحرير والديباج وفاء لنذر نذرته . وقد دأبت قریش على كساء الكعبة عاما بعد عام حتى عهد أبي ربيعة المخزومي ، الذي كان ذا سعة ومال فخاطب قریشا قائلا : « أكسوها من مالي عاما وقوموا بكسوتها عاما » . وظل الأمر على هذه الحال حتى أشرفت شمس الاسلام ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم بكسوتها بالثياب اليمنية ، ثم كساها من بعده أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وابن الزبير ، وعبد الملك بن مروان . واستمرت كسوات الكعبة تتوالى تباعا فوق بعضها البعض حتى عام ١٦٦٠ هـ ، وهو العام الذي حج فيه الخليفة العباسي المهدي ، فشكا اليه سذنتها أن كسوات الكعبة المتراكمة قد أثقلت كاهلها وأن البناء ضعيف يخشى عليه من التقويض والانهار ، فأمر الخليفة بأن لا يسدل عليها أكثر من كسوة واحدة وذلك حفاظا على قواعد الله الحرام ، واستمر الأمر كذلك حتى يومنا هذا .

وما ذكره « الفاكهي » عن كسوة الكعبة المشرفة أن الخليفة المأمون هو أول من كسا الكعبة بالديباج الأبيض .. وفي عهد الفاطميين كسيت الكعبة بالديباج الأبيض ، ثم الأصفر ، ثم الأخضر ، ثم الأسود ، وظل ملوك المسلمين وأمرؤهم يتتابعون على كسوة الكعبة حتى وقف عليها الملك الصالح اسماعيل بن الناصر في عام ٧٥٠ هـ ، ثلاث قرى من قرى القليوبية من مصر .

وفي عهد العثمانيين أضيفت سبع قرى أخرى في مصر الى وقف الملك الصالح ، وبقيت هذه القرى موقوفة على الكعبة حتى حل وقفها محمد علي باشا في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة وتعهدت الحكومة المصرية بصنع الكسوة من مالها الخاص .. غير أنه في عام ١٣٤١ هـ وقع خلاف بين الشريف الحسين والحكومة المصرية ، منعت على أثره دخول المحمل المصري الذي يحمل الكسوة والصدقات ، ونقلت الكسوة التي كانت قد صنعت في الاستانة من المدينة المنورة الى جدة عن طريق « ثغر رايغ » ووصلت في التاسع من ذي الحجة عام ١٣٤١ هـ .

ولدى توحيد الحجاز ونجد على يد جلالة المغفور له الملك عبد العزيز ، توقفت ارسال الكسوة من مصر ، مما حدا بالملك الراحل ، طيب الله ثراه ، الى كسو الكعبة بكسوة « القيلان » التي كان الشريف الحسين قد صنعها في العراق احتياطا . وفي غرة محرم ١٣٤٦ هـ ، كما ذكرنا آنفا ، تم انشاء دار خاصة لصنع الكسوة في أم القرى ، كما تم استيراد ١٢ تولا ، واجتلاب عدد من الخبراء والفنيين في أعمال النسيج والتطريز ، ليتولوا أمر تدريب أبناء هذا البلد المقدس على صناعة النسيج واعداد الخزام ، فشرعوا في عمل متواصل حتى تسنى لهم في نهاية ذي القعدة من العام نفسه انجاز الكسوة الشريفة على أحسن ما يبتنى . ولم تمض سنوات ثلاث على اقامة المصنع حتى أثبت المواطنون السعوديون الذين التحقوا بالعمل في المصنع قدرتهم على اتقان صناعة كسوة الكعبة المشرفة على الوجه الأكمل .

وفي عام ١٣٤٩ هـ أسندت ادارة الكسوة والاشراف عليها الى السيد عبد الرحيم أمين المكي ، المدير الفني للمصنع ، كما أدخلت على المصنع تحسينات كان لها أثرها البين في سرعة الانجاز والاتقان مما جعل الكسوة الشريفة موضع تقدير الكثيرين من حجاج بيت الله الحرام ومبعث اعجابهم .

والجدير بالذكر أن دار صناعة الكسوة السعودية قد أضافت الى الكتابة التي كانت تكتب على الكسوة الواردة من مصر ، كلمات « سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » كما أن الخزام ، الذي كان يشتمل على سبع قطع مكتوب عليها آيات الحج وقطعة الاهداء ، وأربعة أركان على شكل مربعات صغار وستارة الباب ، قد أدخل عليه أيضا تحسينات حيث جرى إعادة تصميم الخزام في شكل جديد أخذ . كما أضيفت من جهة حجر اسماعيل تكملة لآيات الحج لم تكن مكتوبة من قبل ، وجعل الخزام من ست عشرة قطعة بدلا من سبع كما أشرنا اليه آنفا .. وقد كتبت الآيات القرآنية عليها بالقصب الفضي المموه بالذهب فبدت بشكل أكثر وضوحا وانسجاما مما كانت عليه من قبل حيث كانت الآيات القرآنية مرتبطة بعضها ببعض في مدار القطع السبع من الخزام لا يفصل بينها فاصل .

مرحلـة صـنـع الكسوة الشريفة

تستهل مراحل عملية صناعة الكسوة الشريفة بغسل شلل الحرير الخام البيضاء المستوردة من إيطاليا ، مرات عديدة ، بالماء الساخن والصابون ، لازالة الأوساخ والمواد الكيماوية العالقة بها . وبعد الغسل مباشرة ، تنشر شلل الحرير حتى تجف ثم تصبغ باللون الأزرق النيلي صياغة أولية مع خليط من المواد الكيماوية بغية تثبيت اللون ، ثم تصبغ باللون الأسود . وبعد أن تجف ، تلف شلل الحرير بواسطة ملفات يدوية تدور على مائة بكره خشبية كبيرة الحجم وتصف بأعداد متساوية بعضها فوق بعض ثم تضم هذه « الفتلات » المائة في مشط حديدي صغير يوضع على لفاف كبير يبلغ قطره ١٥٠ سنتيمترا ، ويستمر اللف عليه حتى يتم عدد « الفتلات » المطلوب وهو ٩٨٧٠ فتلة مع مراعاة الطول المناسب لتوضع في ثمانية أمشاط ، ثم تضم جميعها في مشط حديدي كبير واحد ، وتربط هذه الأمشاط الثمانية على دعاسات خشبية . وبعد ذلك تلي مرحلة ربط الكلمات وذلك وفق نموذج هندسي خاص يعده المدير الفني تمهيدا لتوزيعها على الأنوال . فكلما وضع الصانع قدمه على واحدة من هذه الدعاسات ظهرت جملة من خيوط الكتابة على النول ليمر من تحتها المكوك وهكذا تستمر هذه العملية حتى ينتهي الدرج الواحد من القماش والذي يبلغ طوله أربعة عشر مترا ونصف المتر ، وعرضه مترا واحدا .

هذا وتحتاج الكسوة الشريفة في صنعها الى ٨٧٥ مترا من القماش ، أو الى ٥٤ درجا . ويبلغ سمك القماش حوالي مليمترين أو أكثر ،



تصنع كسوة الكعبة المشرفة محليا بأيد وطنية ، ويبدو هنا أحد العاملين وهو يخط بعض الكتابات والآيات الكريمة التي تتجلى بها الكسوة .

المكرمة وأهداها الى الكعبة المشرفة خادم الحرمين الشريفين فيصل بن عبد العزيز آل سعود تقبل الله منه » .

كما توجد أربع قطع مربعة تجليها سورة الاخلاص ، وتوضع كل قطعة منها في ركن من أركان الكعبة الأربعة ، كما أضيفت ثلاث قطع توضع تحت الحزام مكتوب عليها « وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » . واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى . ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا . »

أما ستارة باب الكعبة فيبلغ طولها سبعة أمتار ونصف المتر ، وعرضها ثلاثة أمتار ونصف المتر وتجليها الآيات الكريمة المكتوبة على أشكال هندسية متنوعة تضفي عليها طابعا من الروعة والبهاء .

هذا وان جميع العمال والفنيين الذين يعملون في دار صناعة كسوة الكعبة المشرفة من السعوديين ويبلغ عددهم ثمانين عاملا وفنيا ، وهم موزعون على أقسام النسيج ، وأعمال الحشو والتطريز ، ولف الخيطان والصباغة .

هذا ، وتقوم دار الكسوة حاليا بإنتاج كيات من حنابل الصلاة الجيدة الصنع . وقد تم بالفعل فرش عدد من مساجد مكة المكرمة وغيرها بها

عنيفة أمكشاش

اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقتضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق . »

أما من الجهة الجنوبية بين الركن اليماني والحجر الأسود فتكتب الآيات التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين » .

أما من الجهة الشرقية لباب الكعبة المشرفة فتكتب هذه الآيات :

« بسم الله الرحمن الرحيم واذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ... » الخ .

واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأزنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم . » هذا بالاضافة الى قطعة كبيرة أيضا يكتب عليها كلمة الاهداء وهي : « صنعت هذه الكسوة في مكة

يضاف اليه قماش البطانة من القلع الأبيض المتين .. فضلا عن الكنار الذي يوضع بين كل درجين عند الخياطة . أما حزام الكعبة ، فيتكون من ١٦ قطعة يبلغ طولها ٦١ مترا ، وعرضها ٩٤ سنتيمترا . ويثبت الحزام عادة على ارتفاع تسعة أمتار من الأرض . أما الآيات التي تكتب على محيط الحزام فهي كالتالي :

« بسم الله الرحمن الرحيم . الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج - وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الأبواب - ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين . ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم . »

وهذه الآيات الكريمة تظهر من جهة حجر اسماعيل . أما الآيات التي تكتب من الجهة الغربية بين الركن اليماني وحجر اسماعيل فهي :

« بسم الله الرحمن الرحيم واذا بؤنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ، وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا

ذو الحجة

للشاعر الدكتور زكي المحاسني

نادى منادي الحمى والناس قد رقدوا

ذا نجم « أحمد » هذا الليل يتقد

يستغفر الله وهو الواحد الأحد
والأفق في جاهر التكبر يرتعد
قد جدد الروح بالإيمان يترد
دين قويم عليه المجد يعتمد

وان قلبك من ربّ به المدد
مبارك السمّ في اشرافه الرشد
خلقة الله حول البيت تحتشد
محملون على الأخشاب قد سجدوا
كأن تسيحهم جوق بهم غرد
جسومهم ببياض عنده حمدوا
رب السماوات في مرضاته الجدد

في الحلم حتى بدت حقا لمن سعدوا
مجد الاله الذي يسمو به الأبد
نعمى عوارف لا يحصى لها عدد
متابة حق فيها الرشد والأيد
أفواج خلق بهم لا يدرك الأمد
فهاات سبحة وأزحم كمن جهدوا

حتى دهشت لرمز ربه قصدوا
في الدين وابتهلوا الله اذ عبدوا
في وحدة بذوي الاسلام تتحد
أستقبل العام فيه أهله جدد
دمعي على ذكرها يهمني وينرد
عن متدى الجود والعرفان ما بعدوا
عاشوا على المجد والعرفان مذ ولدوا

فهب من مضجع الأوثان عابدها
يا من رأى اللات والعزى محطمة
والبيت ماج بأهليه وكلهمو
وفتح « مكة » بالاسلام مبتهج

يا غاسل الكعبة الميمون مطلعته
يا لبتي كنت يوم الحفل أشهده
قد طفقت بالبيت والأمواج تدفني
وعاجزون أتوا من نأي أرضهمو
والشوط من بعده شوط يدور بهم
لدى الصلاة شهدت الجمع حالبة
لفقت جسي بإحرام وتقت الى

هذي لنا « عرفات » كنت أعرفها
خيامها أبد الآفاق شاهدة
نزلت ضيفا على الرحمن أطلبها
وفي « منى » منية النفس التي نذرت
شقت دربي زحاما في مناكبها
والبائعون تنادوا في متاجرهم

أما « الجمار » فما شاهدت مجمعه
قل للحجيج اذا أدوا مناسكهم
للحج دنيا على الاسلام موئلها
« ذو الحجة » الشهر قد ودعت غاربه
و« مكة » بارك الرحمن كعبتها
ولي بأعطافها صبح غطارفة
و« للسعودية » الغراء جهمو

لوہے عرفات و منیٰ
ابراہیم و معلوت

